
روايات مصرية للجيب
- رجل المستحيل -
معبد الجريمة
111
د. نبيل فاروق
Looloo
www.dvd4arab.com

رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - المذبحة

انطلقت زفرة حارة، من أعماق (منى توفيق)، وهى ترقد على فراشها الصغير، فى مستشفى (المعادى العسكرى)، وخفق قلبها فى قوة، وعيناها تطالعان ما تبثه محطة (سى . إن . إن) الإخبارية، فى نبأ عاجل لها من مراسلها فى (طوكيو)، الذى بدا شديد الانفعال، وهو ينقل صورة حية لمبنى السفارة المصرية، والمذبحة التى جرت فيها منذ أقلّ من نصف الساعة، بوساطة مجهولين، لأسباب غير معلنة رسميًا، ويقول:

- لا أحد يدرى لماذا جرت هذه المذبحة البشعة، وما إذا كانت ترجع لأسباب سياسية أم لا، ولكن من الواضح أن مرتكبيها من المحترفين بحق. فقد نسفوا كابلات الطاقة الرئيسية، ثم أطلقوا صاروخا على المولّد الاحتياطى للسفارة، وبعدها استخدموا مناظير خاصة للرؤية الليلية، وسيوفًا قوية حادة، للقضاء على كل من فى السفارة بلا تمييز أو رحمة.. ولقد تم العثور على أربع جثث للمهاجمين، علّق قائد فرقة

الطوار ـ بالشرطة عليها ، بأنها تبدو أشبه بمقاتلى (النينجا) .

غمغم الطبيب المعالج لـ (منـى) ، عندمـا سـمع الفقرة الأخيرة :

ـ عجبًا !.. كنت أتصوّر أن (النينجا) مجرّد خيال سينمائى .

أشارت إليه (منى) بالصمت ، وهى تقـول فـى رقـة ضعيفة :

ـ معذرة يا سيّدى الطبيب ، ولكن الأمر يهمنى بحق .

لأن الـا مت ، وإن لم يرق له هذا ، فى حين تابع مراسل الـ ـة الإخبارية بنفس الحماس :

ـ السؤال الذى يـدور حاليًا فـى الأذهـان ، هـو أيـن كانت شرطة (طوكيو) ، طوال ثلاث وعشرين دقيقـة ، استغرقتها المذبحة ؟!..

ثم ظهر علـى الشاشـة رئيـس شـرطة (طوكيـو) (فوجى ياما) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لقد استجبنا للحادث فور حصوله ، ولكن الأمر اقتصر فى البداية على انفجار كابلات الطاقة ، ثم أبلغنا بعضهم بوقوع انفجار آخر فـى مبنـى السفارة المصريـة ، وتـم إرسـال فرقــة طوارئ إلى هنــاك على الفور ، ولكنها

تعرّضت لحادثة سير ، أعاقت مسيرتها ؛ لتصل بعد فوات الأوان .

وعاد المراسل يحتلّ الشاشة ، قائلاً :

ـ بهذا التعليق غير المقبول ، بـرّر رئيس الشرطــة قصور جهازه ، وعجزه عن منـع حـدوث هـذه المذبحـة البشعة .. أما من الناحية السياسية ، فمن الطبيعى أن يثير الحادث ثائرة المصريين ، الذين سيشيرون بأصابع الاتهام إلى الحكومة اليابانية بالطبع ؛ نظرًا لمـا تؤكّده القوانين الدولية ، من أنها المسئول الأوّل عن حماية كل السفارات الواقعة على أرضها .

ظهر رئيس الوزراء اليابانى على الشاشة متجهمًا ، وهو يقول :

ـ لسنـا ننكر مسئوليتنا عن الحـادث ، من الناحيـة القانونية ، ولكننا نرفض اتهامنا بالإهمال أو التقصير ، فلقد تم الحـادث بأسلوب محترفين ، وعلـى نحـو بـالغ العنف والشراسة ، حتى إنه أسفر عن مصرع الجميع ، حتّى السفير وطاقم الأمن ، ولاشك فى أن أية دولـة فى العالم لم يكن بإمكانها منع حادث مباغت وعنيف كهذا .

عاد المراسل مرة أخرى إلى الشاشة ، معلّقًا :

ـ الكل بالطبـع يحاول التنصّل من المسئولية ، ولكن

لاشك لدينا فى أن التحقيقات الرسمية قد بدأت بالفعل ، وأنه ليس من السهل أن يمرّ حادث بشع كهذا مرّ الكرام ، و ...

انقطع الإرسال فجأة عند هذه النقطة ، مع صوت الطبيب ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هذا يكفى .

هتفت (منى) معترضة :

ـ لماذا أغلقت التلفاز ؟!.. قلت لك : إن هذا الأمر يهمنى بشدة .

أجابها الطبيب فى صرامة أكثر :

ـ ويؤذيك بشدة أيضا .. لقد فحصت نبضك فى أثناء المشاهدة ، وأدركت أنك منفعلة مع الموقف إلى أقصى حد ، وهذا لا يناسب حالتك الصحية الحالية .

اغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تتمتم :

ـ ولكنه يهمنى بالفعل .

ربت الطبيب على كتفها ، وبدأ يفحصها فى اهتمام ، وهو يقول :

ـ أوافقك على أنها مذبحة بشعة بالفعل ، تدمى قلب كل مصرى ، ولكن التعامل معها مشكلة رسمية ،

لا شأن لها بها .. على كل منا أن يؤدى واجبه ، فى حدود قدراته فحسب .. أليس كذلك ؟!

سالت دموعها الصامتة على وجنتيها ، واختنق حلقها بغصة مؤلمة ، وهى تكتم ألمها وعذابها فى أعماقها ، مدركة أنه ليس فى استطاعتها أن تشرح له لماذا يهمها هذا الأمر بشدة :

فذلك السفير ، الذى لقى مصرعه فى حادث السفارة ، كان قائدا لقواعد الصاعقة المصرية ، إبان عمل (أدهم صبرى) فى صفوفها ..

ولقد كان الشاهد الوحيد على جريمة قتل ، راح ضحيتها الصحفى (موكينا) ، وارتكبها إمبراطور صناعة الإليكترونيات الدقيقة فى (اليابان) (فاكو يوشيدا) ..

ولأن السفير كان يصرّ على الإدلاء بشهادته حول الحادث ، اتخذ (يوشيدا) وزبانيته قرارا بالتخلص منه ، بعد أن عجز محاميه (أوهارا) عن التفاوض معه ، وإقناعه بالتنازل عن شهادته ..

وأرسلت (مصر) اثنين من أكفأ رجال المخابرات المصرية ، لحماية السفير ..

ورفض مدير المخابرات بشدة ، إسناد المهمة إلى (أدهم) ..

أو حتى السماح له بالسفر إلى (طوكيو) ..

هذا لأن (أدهم) لم يكن قد استعاد لياقته بعد ، إثر قتاله العنيف مع السنيورا ورجالها ، في الولايات المتحدة الأمريكية و (المكسيك) (*) ..

واستعان (أوهارا) محامي (يوشيدا) بفريق من أقوى مقاتلي (اليابان) ، الذين يحاولون إحياء عهد (النينجا) ، تحت قيادة زعيم قوى ، يدعى (ناتاسون) ، تسعى شبكته لتبني الأطفال من الملاجئ ، وإخضاعهم لبرنامج تدريبي قوى ، وهم دون العاشرة ؛ لتصنع منهم مقاتلين أفذاذًا ، يقاتلون من أجل كل من يدفع الثمن ..

وهؤلاء هم الذين شنّوا تلك الحرب الشعواء على السفارة المصرية ..

والذين قتلوا السفير وطاقم الأمن ، وكل العاملين بالسفارة ، في أبشع مذبحة عرفتها العصور الحديثة ، في زمن السلم ..

ومع مصرع الشاهد الوحيد ، والقضاء على مفتش الشرطة الياباني (ياماموتو) ، والتخلّص من جثة

(*) راجع قصة (قبضة الشر) .. المغامرة رقم (١٠٩) .

الصحفي (موكيتا) ، بإذابتها في حامض قوى ، تصوّر (فاكو يوشيدا) ومحاميه (أوهارا) ، أن الغمّة قد انزاحت ، والمشكلة قد انتهت إلى الأبد .. (*)

هذا لأنهم لم يدركوا أن الطائرة القادمة من (القاهرة) ، تحمل إليهم بداية جديدة ، ومشكلة أكثر عنفًا ..

مشكلة في صورة رجل واحد ، قد يساوي في نظرهم جيشًا بأكمله ..

رجل يحمل لقبًا فريدًا من نوعه ، في عالم المخابرات .

لقب (رجل المستحيل) ..

* * *

انطلقت ضحكة (فاكويوشيدا) عالية مجلجلة ، في قلب حجرة مكتبه الواسعة ، وهو يضغط زر جهاز التحكم [illegible] ريموت كنترول) ، ليغلق التلفاز أمام[illegible]ن يقول لمحاميه الداهية :

[illegible]ي الأمر يا (أوهارا) .. (ناتاسون) ورجاله قاموا بعملهم خير قيام ، ولا أحد يمكنه أن يطبق بأصابعه على عنقي الآن .

(*) للحصول على التفاصيل كاملة ، راجع الجزء الأول (اغتيال) .. المغامرة رقم (١١٠) .

نفث (أوهارا) دخان سيجاره فى عمق ، وقال بابتسامة كادت تبتلع وجهه كله :

ـ أطرف ما فى الأمر أن كل الرسميين والثقون ، من أنك وراء المذبحة بشكل أو بآخر ، ولكن أحدًا منهم لا يجرؤ على إعلان هذا ؛ خشية أن نقاضيه بتهمة الإساءة والتشهير .

ثم أشار بسيجاره ، مستطردًا فى زهو :

ـ خاصة وأننا سنتقن الأمر إلى أقصى حدّ ، فبعد قليل ، ستصل إلى كل وكالات الأنباء ، المحلية والأجنبية ، برقيات عاجلة ، تحمل توقيع منظمة عربية معارضة ، تعلن مسئوليتها عن المذبحة ، معللة ذلك بأنه نوع من العقاب ، لأن (مصر) تحيا فى سلام مع (إسرائيل) .

قال (يوشيدا) فى دهشة :

ـ ولكن (مصر) وقّعت معاهدة السلام مع إسرائيل ، منذ سنوات عديدة !!

هزّ (أوهارا) كتفيه ، قائلاً :

ـ وماذا فى هذا ؟!.. إنهم عرب ، يمتازون بردود أفعالهم البطيئة .. أليس كذلك ؟!

قالها ، وانفجر ضاحكًا ، وجسده يهتزّ فى قوة ، فعقد

(يوشيدا) حاجبيه ، وكأنه يزن الأمور فى رأسه جيدًا ، قبل أن يبتسم بدوره ، قائلا :

ـ أنت داهية بحق يا (أوهارا) .

ثم فتح درج مكتبه ، والتقط منه دفتر شيكاته ، مستطردًا :

ـ وأنا أومن دائمًا بدفع ثمن الدهاء .

كتب رقمًا على الشيك ، وذيّله بتوقيعه ، ثم ناوله إلى (أوهارا) ، الذى ارتفع حاجباه فى انبهار ، وهتف :

ـ آه .. أشكرك يا (يوشيدا) سان .. أشكرك كثيرًا .

اتسعت ابتسامة (يوشيدا) ، وهو يقول :

ـ لقد قمت بعمل جيد يا (أوهارا) ، وأزحت عن كاهلى عبئًا ثقيلا .

ثم أسبل جفنيه ، واسترخى فى مقعده ، مستطردًا فى ارتياح عارم :

ـ وإلى الأبد ..

نطقها ، دون أن يدرى أن المشاكل الحقيقية لم تنته .

لقد بدأت فعليًا ..

الآن ..

* * *

اتسعت عينا رجل المخابرات المصرى (صادق) عن آخرهما ، وهو يحدّق فى وجه (قدرى) ، الذى ارتبك لرؤيته ، وتمتم ملوِّحًا بيده فى اضطراب :

ـ أهلا يا (صادق) .. كيف حالك ؟!

هتف (صادق) فى وجهه بدهشة :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

ارتبك (قدرى) أكثر ، وهو يجيب :

ـ أبتاع بعض الطعام .. لقد اكتشفت فجأة أن منزلى يخلو من أى طعام شهي ، و ...

قاطعه (صادق) فى حدة :

ـ ولكن كيف ؟!.. لقد تتبعتك بنفسى إلى المطار ، ورأيتك تستقل طائرة (طوكيو) ، التى ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يهتف :

ـ رباه !.. أمن الممكن أن ...

فجأة ، انفجر (قدرى) ضاحكًا ، وراح جسده الضخم يرتج فى قوة ، وهو يقهقه ، ويقهقه ، حتى أثار دهشة كل رواد (السوبرماركت) ، الذين تطلعوا إليه فى دهشة ، متسائلين عن سر ضحكاته العالية ،

فى حين احتقن وجه (صادق) ، وخيِّل إليه أنه قد فهم اللعبة كلها ، قبل حتى أن يقول (قدرى) :

ـ إنه لم يكن أنا .

ردّد (صادق) فى ذهول مستنكر غاضب :

ـ لم يكن أنت ؟!..

قهقه (قدرى) بكل قوته ، وهو يجيب :

ـ لقد كان (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

وعادت ضحكاته تدوى فى المكان ..

ولم تمض دقائق قليلة على هذا الحوار ، حتى كان مدير المخابرات العامة يهبّ من مقعده ، هاتفًا فى غضب :

ـ (أدهم) ؟!

أجابه (صادق) فى توتر شديد :

ـ نعم يا سيدى .. (أدهم صبرى) .. لقد انتحل شخصية (قدرى) ببراعة منقطعة النظير كعادته ، واستخدم جواز سفره ؛ ليستقل طائرة (طوكيو) أمام أعيننا جميعًا .

ثم هزّ رأسه ، مستطردًا فى شىء من الانبهار :

ـ كانت خدعة عبقرية والحقّ يقال يا سيدى .

صمت مدير المخابرات بضع لحظات ، ثم غمغم :

ـ نعم .. كانت خدعة عبقرية بحق .

واتجه إلى نافذة مكتبه ، وراح يتطلع عبرها بعض الوقت ، ثم لم يلبث أن التقط نفسًا عميقًا من الهواء النقى ، قبل أن يقول :

ـ فليكن .. قدّر الله ، وما شاء فعل ... لقد حاولنا بقدر إمكاننا تفادى هذه المواجهة ، ولكن ما باليد حيلة .. (جيهان) و (أدهم) انطلقا بالفعل إلى (طوكيو) ، والسفير لقى مصرعه فى مذبحة رهيبة ، والقتلة من مقاتلى (النينجا) .. موقف معقّد بحق ، ومواجهة عنيفة على كل المستويات .. ولكن لا بأس ..

والتفت إلى (صادق) ، مستطردًا :

ـ لقد أقحم (أدهم) نفسه فى الأمر ، شئنا أم أبينا ، وبصحبته زميلته الجديدة (جيهان) ، ووزارة الخارجية ستوجّه إلينا كل اللوم حتمًا ؛ لأننا عجزنا عن حماية السفير .. دعنا نثبت للجميع إذن أننا لم ننسحب من القتال بعد ، وأننا سنسعى للثأر لكل نقطة دم مصرية ، أريقت على مذبح الخيانة والغدر .

سأله (صادق) فى حيرة مترددة :

ـ ماذا تعنى يا سيّدى ؟

اعتدل مدير المخابرات ، وشدّ قامته فى اعتداد ، مجيبًا :

ـ أعنى أننا سنتبنى سياسة الاستفادة من الكوارث يا رجل ، وسنسند إلى (أدهم) و (جيهان) رسميًا ، مهمة البحث عن قتلة السفير ، والمتسببين فى مذبحة السفارة ، والثأر منهم .

ثم تحرك نحو مكتبه ، مستطردًا فى حزم :

ـ أبرق إلى قنصليتنا فى (اليابان) ، واطلب منهم إعداد كل الأوراق والوثائق الرسمية لـ (أدهم) و(جيهان) ، وإرسال مندوب لانتظار الأول ، عندما يصل إلى مطار (طوكيو) ، وإبلاغه بقرارنا الرسمى ، و ..

تنحنح (صادق) يقاطعه فى حرج ، فالتفت إليه المدير مندهشًا ومستنكرًا ، مما جعله يقول فى سرعة :

ـ لقد وصلت الطائرة إلى (طوكيو) بالفعل ، ولم يعد من الممكن العثور على سيادة العميد (أدهم) .

اتسعت عينا المدير فى ارتياع مستنكر ، وهو يهتف من أعماقه ..

لم يعد من الممكن العثور على (أدهم) ..

رباه !..

هذا يعنى أنه لن يحمل أية صفة رسمية ، فى قتاله ضد إمبراطور صناعته الاليكترونيات الدقيقة فى قلب (اليابان) ..

وأنه سيكون مضطرًا للقتال بأوراق مكشوفة ..

وبوجه عار ..

تمامًا ..

* * *

انعقد حاجبا (أدهم صبرى) فى شدة ، واختنق حلقه بغصة مؤلمة ، وهو يجلس داخل حجرة بسيطة ، فى أحد الفنادق المتواضعة فى (طوكيو) ، فى زى (قدرى) ، يطالع نشرة الأخبار ، التى تنقل للمرة الثالثة تفاصيل مذبحة السفارة المصرية ..

وعلى الرغم من ذلك الحزن الهائل ، الذى يعتصر قلبه اعتصارًا ، والمرارة البالغة ، التى تلتهم كيانه ومشاعره فى قسوة ، راح عقله المدرّب يلتقط كل ما يمكن التقاطه من تفاصيل ، من خلال الخبر ..

فالقتلة ، الذين ارتكبوا الحادث من المحترفين ..

ومن مقاتلى (النينجا) بالتحديد ..

ولقد ارتكبوا مذبحتهم بأسلوب منظّم ، يشف عن مهارة قتالية ، وخبرة عسكرية متميّزة ..

وحتى فى انسحابهم ، كانوا غاية فى الدقة والتنظيم .

ثم إن الشرطة لم تتدخل فى الوقت المناسب ..

لقد تعمدت إضاعة الوقت لسبب ما ..

وفى النهاية ، كان كل هذا بأمر من (فاكو يوشيدا) .

والتقى حاجبا (أدهم) أكثر وأكثر ، وهو يتمتم :

ـ وعليه أن يدفع الثمن .

قالها ، ونهض فى حزم ، ينتزع ثياب (قدرى) ، وتلك الوسائل المطاطية ، التى أحاط بها جسده ووجهه ؛ ليبدو فى مثل بدانته ، واستبدل بكل هذا حلة أنيقة ، وألقى نظرة على ساعة يده ، التى أشارت إلى الواحدة بعد منتصف الليل ، بتوقيت (طوكيو) ، وغمغم :

ـ أعتقد أن هذا وقت مناسب ، لزيارة (هيرو) .

وفى خفة ، ودون أن يشعر به أحد ، غادر الفندق البسيط ، واستقل السيارة التى استأجرها باسم (قدرى) ، وانطلق يقطع شوارع (طوكيو) فى سرعة ، وكأنما يعرف هدفه جيدًا ، ويحفظ طريقه إليه عن ظهر قلب ..

كان قد قضى ساعات السفر الطويلة ، فى مراجعة كل ما وجده فى ملفات المخابرات العامة ، حول (طوكيو) ، وعالمها الليلى السرى الضخم ..

وفى وضع خطة العمل والحركة ..

ولكنه كان يتمنى ، من أعمق أعماق قلبه ، أن يصل قبل مصرع السفير ..

قائده السابق فى قوات الصاعقة المصريّة ..

وللأسف .. ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ..

لقد هبطت طائرته فى مطار (طوكيو) ، فى نفس اللحظة التى انتهت فيها المذبحة البشعة ، ولقى فيها الجميع مصرعهم ..

ولا أحد يمكنه أن يصف مدى حزنه ومرارته آنذاك .

ولا ذلك الغضب ، الذى عربد فى أعماقه ، وتفجّر كبركان ثائر فى كيانه كله ..

ولا ذلك القرار الصارم ، الذى اتخذه في أعماقه ..

قرار الانتقام ..

والثأر من الجميع ..

وكعادته ، كلما اشتعلت النيران فى أعماقه ، وتأججت بشدة فى عروقه ، لجأ إلى مكان هادئ ، وراح يطفئ جذوة الغضب فى كيانه ، حتى لا تنكى مشاعره ، فيفقد قدرته على حسن تقدير الأمور والتعامل معها ..

ثم انطلق كالليث ؛ ليبدأ عمله ..

وقبل أن تبلغ عقارب الساعة الواحدة والنصف ببضع دقائق ، كان يوقف سيارته عند أحد الأحياء القديمة فى (طوكيو) ، ويغادرها فى هدوء ، ويدسّ كفيه فى جيبى معطفه الأنيق ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، قبل أن يحدّد هدفه ، ويتجه إليه مباشرة ..

كان مظهره الوسيم الأنيق يتعارض تماما مع ذلك الحى ، الذى تلوّثت جدرانه برسوم عشوائية همجية ، وألقيت القمامة فى لا مبالاة على جانبى شوارعه ، التى أظلم معظمها ، بعد أن حطّم بعضهم مصابيحها عمدًا ، وترك ذلك الذى فى مقدّمة الشارع ؛ ليكشف القادم فى وضوح ..

وفى هدوء بالغ مستفز ، قطع (أدهم) الشارع الجانبى المظلم ، وهو يدرك جيدًا أنه هناك عيون خفية تتابعه من مصدر ما ..

وأخيرًا ، تحرّك أحد أصحاب هذه العيون ، واتجه نحوه من الخلف فى خفة ، وهو يحمل خنجرًا ماضيًا حادًا ، و ...

وفجأة ، دار (أدهم) على عقبيه بسرعة مدهشة ، وقبض على معصم ذلك القادم ، ولواه خلف ظهره بحركة مباغتة ، أطلق لها الرجل صرخة ألم ودهشة



وأخيراً ، تحرّك أحد أصحاب هذه العيون ، واتجه نحوه من الخلف فى خفة ..

وذعر ، ووجد نفسه مضطراً لإفلات الخنجر ، الذى التقطه (أدهم) فى الهواء قبل سقوطه ، وهو يقول ساخراً ، بلغة يابانية جيدة :

ـ سرعتك ليست مناسبة يا صاح ، ووقع قدميك يكفى لإيقاظ قبيلة من الصم ، من نوم عميق ، بعد جهد شاق .

أطلق الرجل سباباً غاضباً ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها ثلاثة آخرون ، فى محاولة للانقضاض على (أدهم) ، الذى ابتسم فى سخرية ، قائلاً :

ـ عظيم .. ها هى ذى الفئران تغادر جحورها .

ودفع الرجل الذى يمسك به فى قوة ، فارتطم باثنين من المهاجمين ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها الثالث نحوه ، وهو يطلق صرخة قتالية مخيفة ، فمال (أدهم) جانباً بخفة مدهشة ، وتفادى انقضاضة الرجل ، ثم دار على عقبيه ، وقفز بركله فى وجهه مباشرة ، قبل أن يكمل دورته ، ويغوص بقدمه فى معدته كالقنبلة ..

وسقط الرجل ، فى حين انقضّ زميلاه ، بعد أن تخلصا من هذا الذى ألقاه عليهما (أدهم) ، فاستقبل هذا الأخير أولهما بلكمة كالقنبلة فى أنفه ، ثم تلقى ضربة ثانية على ساعده ، قبل أن يركله فى معدته ، ثم يدور حول نفسه ، ويحطم أسنانه بلكمة ساحقة ..

كان من المستحيل على المراقب أن يتصوَّر أن هذا المصرى ، الذى يقاتل كليث ثائر ، ويحطم فى مهارة أربعة من مجرمى الشوارع فى (طوكيو) ، الذين يجيدون عددًا لا بأس به من المهارات القتالية ، لم يستكمل بعد برنامج إعادة تأهيله ، بعد إصاباته الفادحة فى مهمته السابقة(*) .

وفى غضب ، هبَّ الأوَّل من سقطته ، واستلَّ من حزامه مسدسًا صغيرًا ، صوَّبه إلى (أدهم) ، صارخًا :

ـ فليكن أيها الأجنبى .. أنت أردت هذا .

وثب (أدهم) نحوه وثبة مدهشة ، وركل المسدس من يده ، قائلاً :

ـ لطيف منك أن استخدمت مسدسًا .

والتقط المسدس فى الهواء ، وهو يدور دورة مدهشة ، ويركل الرجل فى أنفه ، مستطردًا :

ـ فهذا ما أحتاج إليه بالضبط .

ودسَّ المسدس فى جيبه ، وهو يقبض على معصم الرجل قبل سقوطه ، ويلويه خلف ظهره مرة أخرى ، قائلاً فى صرامة :

ـ أين أجد (هيرو) ؟

(*) راجع قصة (قبضة الشر) .. المغامرة رقم (١٠٩) .

هتف الرجل بصوت مختنق :

ـ (هيرو) من ؟!.. لم أسمع قط عن هذا الـ ...

هوى (أدهم) على ظهره بلكمة قوية ، تأوَّه لها الرجل فى ألم ، وصرخ :

ـ لماذا تبحث عن (هيرو) ؟! ما الذى تريده منه ؟!

أجابه (أدهم) فى صرامة ، وهو يلوى ذراعه خلف ظهره أكثر :

ـ لا شأن لك بهذا .. أخبرنى أين هو فحسب .

صرخ الرجل فى ألم :

ـ لا يمكننى هذا .. لا يمكننى أبدًا .

ومع صرخته ، برز من بين المنازل الصغيرة عشرة من الرجال ، يحمل كل منهم أحد تلك الأسلحة التقليدية ، المكوَّنة من هراوتين ثقيلتين ، تربطهما سلسلة معدنية ثقيلة ، وأطلَّت من عيونهم جميعًا نظرات غضب ثائرة ، تركَّزت كلها على هدف واحد ..

على (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

وبصوت حاد رفيع ، أطلق أحدهم صيحة قوية ، و ...

وانقضَّ الرجال العشرة على (أدهم) ..

وبمنتهى العنف .

* * *

٢ - هوية ..

لم يكن أمام (أدهم صبرى) حل بديل ، وهو يواجه هؤلاء المقاتلين العشرة ، فى تلك المنطقة من العاصمة اليابانية ..

صحيح أنه يبذل قصارى جهده دائمًا ؛ لتحاشى القتل والتدمير ، إلا أنه يؤمن تمامًا بضرورة الدفاع عن نفسه ، بأية وسيلة كانت ، عندما يواجه خصومًا يسعون لتدميره ، دون رحمة أو هوادة ..

لذا فقد انتزع مسدس المجرم من جيبه ، وجذب مشطه فى قوة ، استعدادًا لإطلاق النار على الجميع و ..

« قفوا .. »

انطلقت تلك الكلمة ، من مكان ما ، بلهجة صارمة آمرة ، تجمد لها المقاتلون بغتة ، وكأنما ضغط أحدهم زرًا ، فأوقف الصورة كلها على شاشة العرض ، فتلفت (أدهم) حوله فى توتر ؛ محاولاً البحث عن مصدر الصوت ، الذى تكرر بلهجة حازمة ، وصاحبه يقول :

- لماذا تريد مقابلة (هيرو) أيها الغريب ؟!

أجابه (أدهم) فى صرامة :

- ليس هذا من شأنك .. إنه عمل بينى وبينه ، وهو وحده صاحب الحق فى توجيه هذا السؤال .

برز رجل فى أوائل الستينات من عمره ، أشيب الشعر تمامًا ، من شرفة بالطابق الثانى لأحد المنازل القديمة ، وتطلع إلى وجه (أدهم) على الضوء الخافت ، قبل أن يقول :

- ها هو ذا يقف أمامك ، ويلقى عليك السؤال بنفسه .

تطلع (أدهم) إلى الرجل لحظة ، وطابق هيئته على الصورة التى يحويها ملفه ، فى إدارة المخابرات المصرية ، ثم دفع الرجل الذى يمسك به ، ودس مسدسه فى جيبه ، وهو يقول :

- مرحبًا يا (هيرو) .. أنا قادم من قبل العمة (لورا) .

التقى حاجبا اليابانى فى شدة ، وهو يغمغم :

- العمة (لورا) .. آه .. كان ينبغى أن أتوقع هذا .

ثم أشار إلى الباب أسفل الشرفة ، مستطردًا :

- تفضل يا رجل .. إننى أنتظرك فى الطابق الثانى .

خفض الرجال أسلحتهم على الفور ، وأفسحوا الطريق أمام (أدهم) ، الذى اتجه إلى المنزل القديم

مباشرة ، ودلف إليه فى خفة ، والرجل الذى أفلتـه يهتف مستنكرًا :

ـ وماذا عن مسدسى ؟!.. لقد استولى على مسدسى .

تجاهلـه (أدهم) تمامًا ، وهو يصعد إلـى الطـابق الثانى ، حيث استقبله (هيرو) ، وهو يقول فى حذر :

ـ كيف حال العمة (لورا) الآن ؟!.. أليس من العجيب أنها لم تلمّح حتى إلى قدومك ؟

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ المهمة كانت عاجلـة للغايـة ، وكلمـة السر هى (نيبون)(*)

أومأ (هيرو) برأسه فى ارتياح ، مغمغمًا :

ـ بالضبط .

ومدّ يده يصافح (أدهم) فى حرارة ، ويسأله :

ـ وما طلبات العمة (لورا) هذه المرة ؟!

اتخذ (أدهم) مجلسه ، وهو يقول فى حزم :

(*) نيبون : Nipon : هو الاسم الذى يطلقه اليابانيون على دولتهم ، فهم لا يستخدمون اسم (اليابان) أو (Japan) مطلقًا ، إلا على البضائع التى يتم تصديرها إلى الخارج ، تمامًا مثلما نطلق نحن على دولتنا اسم (مصر) ، بخلاف الاسم المعروفة به عالميًا (Egypt) .

ـ سلاح وهوية .

عقد (هيرو) حاجبيه ، وهو يردد :

ـ سـلاح وهويـة ؟!.. عجبًا !.. إنـه مطلب عجيب بـالفعل ، فـالمفترض أنكم تسـتطيعون تدبـير هـذا فـى المخابرات المصـ ....

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

ـ إياك أن تنطق الاسم يا (هيرو) .. دعنا نسـتعض عنه دائمًا بالعمة (لورا) .. هذا أفضل .

مطّ (هيرو) شفتيه ، وأومأ برأسـه متفهمًا ، وهو يغمغم :

ـ بالطبع .. بالطبع .. مازلت أذكر التعليمات .

ثم استطرد فى اهتمام بالغ :

ـ ولكن الأمر مازال يدهشنى بحق .

استرخى (أدهم) فى مقعده ، قائلاً :

ـ لكل مهمة ظروفها يا رجل ، وأنت تتقـاضى أجرًا ضخمًا فى المعتاد ، مقابل عدم إلقاء أية أسئلة .

ابتسم (هيرو) ، قائلاً :

ـ هذا صحيح بالتأكيد يا ...

أجابه (أدهم) بسرعة :

ـ (سام) .. (سام واتكنز) .

ارتفع حاجبا (هيرو) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ (سام واتكنز) ؟!

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا هو الاسم ، الذى ستضعه فى جواز سفر أمريكى ، صادر من (نيو أورليانز) .

ابتسم (هيرو [illegible]

ـ بالطبع [illegible] سان .. بالطبع .

ثم تنهّد ، مستطردًا :

ـ سنحتاج إلى التقاط صورة واضحة ، و ..

قاطعه (أدهم) ، وهو يناوله صورة ضوئية ، قائلاً :

ـ يمكننى أن أوفّر لك بعض الوقت .

التقط (هيرو) الصورة ، قائلا فى حماس :

ـ عظيم .. فى هذه الحالة يمكنك العودة فى الثامنة صباحًا ، وستجد أن ...

قاطعه (أدهم) مرة أخرى فى حزم :

ـ لن أنصرف إلا والجواز فى جيبى يا (هيرو) .

صمت (هيرو) بضع لحظات ، ثم سأله :

ـ وماذا عن السلاح ؟.. هل ستكتفى بذلك الذى استوليت عليه من الرجل ؟

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلاّ .. إنه مسدس صغير ، من طراز (سميث أند دين) ، وخزانته تحوى خمس رصاصات فحسب ، ثم إنه من النوع ذى الساقية الدوّارة ، ولست أميل إلى استخدام هذا النوع .

سأله (هيرو) :

ـ ما رأيك فى واحد من طراز (تايشو) اليابانى ، بخزانة تحوى ثمانى رصاصات ، من عيار (٨مم) ؟!

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ثانية ، وقال :

ـ إننى أفضّل (لوجر بارا بللوم) الألمانى ، بخزانة يسهل تغييرها ، ذات ثمانى رصاصات ، أو (والتر ـ ب ٣٨) سريع الطلقات ، ذى ثمانى رصاصات أيضًا .

تطلّع إليه (هيرو) بابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

ـ من الواضح أنك خبير فى الأسلحة يا (واتكنز) سان ، أو أيًا كان اسمك ، وأنا أميل للتعامل مع أمثالك .. فليكن .. ستظلّ فى ضيافتنا حتى مشرق الشمس ، وسندبّر لك الـ (والتر ـ ب ٣٨) ، بست خزانات إضافية ، مع جواز السفر المنشود ، مع تحياتى للعمة (لورا) .

قالها ، وأطلق ضحكة عالية طويلة ..

ضحكة كانت تعنى أن الصراع الحقيقى سيبدأ من هنا ، مع مطلع الشمس ..

شمس (طوكيو) الجديدة ..

* * *

لم يكد (فاكو يوشيدا) يغادر سيارته السوداء الفاخرة ، أمام مبناه الضخم ، حتى ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يحدق فى ذلك الحشد من الصحفيين ورجال الإعلام ، ثم سطعت عشرات المصابيح الضوئية فى وجهه ، فاضطر إلى إغلاق عينيه فى قوة ، وهو يهتف غاضبًا :

ـ اللعنة !.. ماهذا بالضبط ؟

اندفع الصحفيون إليه ، ودفعوا أجهزة تسجيلهم وميكروفوناتهم نحوه ، والأسئلة تنهال عليه فى سرعة ولهفة :

ـ (يوشيدا) سان .. ما علاقتك بمذبحة السفارة المصرية ، التى حدثت أمس ؟!..

ـ هل صحيح أن السفير المصرى شاهدك تقتل الصحفى (موكيتا) ، فى المنطقة الصناعية ؟!..

ـ ألك علاقة بمقاتلى (النينجا) ، الذين ارتكبوا المذبحة ؟!..

ـ أين اختفى (موكيتا) فى رأيك ؟!..

ـ لماذا تشير إليك أصابع الاتهام بالتحديد ؟!

احتقن وجه (يوشيدا) فى غضب ، وصاح فى وجوههم :

ـ من وضع فى رءوسكم هذه الأفكار السخيفة ؟!

أجابه أحدهم فى سرعة :

ـ لقد وصلت التفاصيل إلى كل أجهزة الإعلام ، من خلال رسالة فاكس ، فى ساعة مبكرة من الصباح .

لوّح (يوشيدا) بذراعيه ، صارخًا :

ـ هراء .. شائعات .. مجرد أكاذيب ، بلا سند من الصحة .

قال آخر ، وهو يدنى جهاز تسجيله أكثر وأكثر من شفتيه :

ـ ولكننا أجرينا اتصالاتنا بوزارة الخارجية ، التى أكدت وجود بلاغ مقدم من السفير المصرى ، يؤكد فيه رؤيته تطلق النار بنفسك على (موكيتا) .

احتقن وجه (يوشيدا) أكثر وأكثر ، وهو يقول :

ـ لا تعليق .. لن تجدوا عندى كلمة واحدة .. اتصلوا بمحامىّ (أيهارا) .. هيا .. أفسحوا الطريق .. لدى الكثير من العمل لأنجزه اليوم .. أفسحوا الطريق .

لم يكد ينطق عبارته الأخيرة ، حتى اعتبرها حارسه الخاص (ميتسو) أمرًا واجب التنفيذ ، فاندفع نحو الصحفيين ، وراح يضربهم بقبضته ، صارخًا :

ـ أفسحوا الطريق لـ (يوشيدا) سان .. أفسحوا الطريق .

ولكن فجأة ، قبضت أصابع قوية كالفولاذ على معصمه ، ولوته خلف ظهره فى حركة سريعة ، ثم دفعته نحو (يوشيدا) ، الذى فوجئ بارتطام حارسه به ، فهتف محنقًا :

ـ (ميتسو) .. ماذا دهاك ؟!.. هل جـ ..

قبل أن يتمّ عبارته ، فوجئ بصوت يهمس فى أذنه :

ـ ستدفع الثمن أيها الوغد .

انتفض جسد (يوشيدا) فى عنف ، وتلفت حوله مذعورًا ، وهو يصرخ :

ـ من قال هذا ؟.. من قال هذا ؟!

كان العشرات من الصحفيين ورجال الإعلام يحيطون به ، وحملت وجوههم جميعًا دهشة واضحة ، استفزّت مشاعره أكثر وأكثر ، فراح يدفعهم بيديه فى عنف ، وهو يشق طريقه نحو المبنى ، صارخًا :

ـ ابتعدوا .. ابتعدوا .

عاونه رجال أمن المبنى على إزاحة رجال الصحافة ، وانطلق هو يعبر المدخل الواسع ، ويندفع نحو مصعده الخاص ، هاتفًا :

ـ أرسلوا فى طلب (أوهارا) .. أريد أن أراه على الفور .. انتزعوه من فراشه عاريًا لو لزم الأمر ، وإننى أريد رؤيته على الفور .

تبعه (ميتسو) إلى المصعد ، وهو يلهث ، قائلاً :

ـ أراهن على أن هؤلاء ليسوا كلهم من الصحفيين ، فقد هاجمنى أحدهم بقوة شديدة ، لا يمكن أن تتوفر لصحفى عادى .

صاح به (يوشيدا) ، والمصعد يحملهما إلى الطابق العلوى :

ـ أهذا كل ما أمكنك قوله ؟!.. أهذا كل ما فعلته ؟

قال ميتسو فى عصبية :

ـ ولكننى حتى لم ألمح وجهه يا (يوشيدا) سان .. أقسم لك .

صرخ (يوشيدا) فى ثورة :

ـ هذا ليس عذرًا .

خفض (ميتسو) عينيه ، متمتمًا :

- أعترف أننى أخطأت يا (يوشيدا) سان .. هل تتنازل وتغفر لى هذا الخطأ ، أم ..

قاطعه (يوشيدا) فى حدة ، وهو يغادر المصعد إلى حجرة مكتبه الواسعة .

- اذهب ، وتأكَّد من حضور (أوهارا) إلى هنا بأقصى سرعة .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف الخاص على سطح مكتبه الكبير ، فضغط زر الاستماع فيه ، وهو يقول فى عصبية :

- من المتحدّث ؟.. ماذا تريد ؟!

أجابه صوت (أوهارا) :

- إنه أنا يا (يوشيدا) سان .. لقد أبلغونى أنك تريد حضورى بأقصى سرعة ، وأنا فى طريقى إليك بالفعل ، من قبل حتى أن يبلغونى بهذا ؛ فقد أيقظنى أحد رجالى من النوم ، وروى لى أمر ذلك الفاكس .

صاح به (يوشيدا) فى حدة :

- تلك البرقية اللعينة أفسدت كل شىء يا رجل .. لم يعد بوسعنا إخفاء الأمر ، أو قطع صلتنا به .. لقد أثار أحدهم الصحافة ووسائل الإعلام ، ولن يتوقفوا ، حتى نشفى غليلهم بأجوبة شافية .

قال (أوهارا) فى حزم :

- رويدك يا (يوشيدا) سان .. إنهم لا يملكون شيئًا ضدك .. دعهم يضربون رءوسهم فى الجدران ، فلن يفعلوا ما يضرّنا .

صاح به (يوشيدا) محنقًا :

- وماذا عن الفضيحة ؟!

أجابه المحامى فى سرعة :

- الضربات التى لا تقصم ظهرك تقويه يا (يوشيدا) سان .. دعهم يوجهون اتهاماتهم ، ثم نثور نحن ونشجب ونستنكر ، ونتهمهم بالتشهير ، ونطالبهم بتعويضات ضخمة ، و ...

قاطعه (يوشيدا) فى حدة :

- أى تشهير وأية تعويضات يا هذا ؟!.. إنهم يتحدثون عن اتهام وجّهه السفير المصرى ، عن طريق خطاب رسمى إلى وزارة الخارجية ، ثم لقى مصرعه بعده فى مذبحة بشعة ، لم يشهد مجتمعنا مثلها من قبل قط ، منذ قنبلتى (هيروشيما) و (ناجازاكى) ، فأى تشهير يمكن أن نتهمهم به .

أجابه المحامى فى حماس مفتعل :

- كل ما يرددونه ، حتى اتهام السفير لك ، بلا سند أو دليل واحد ، وهذا وحده يكفى لاتهامهم بالتشهير .

زفر (يوشيدا) فى حدة ، قائلاً :

- من الواضح أن كلاً منا يرى الأمور من منظور مختلف يا (أوهارا) .. هيا .. قد سيارتك بأقصى سرعة إلى هنا ، ولا تهتمّ بمخالفات المرور ، فلابد لنا من إعادة دراسة الموقف معًا .. هيّا .

لم تمض دقائق عشر ، حتى كان (أوهارا) يدلف إلى مكتب (يوشيدا) ، وهو يلوّح بيده فى انفعال ، قائلاً :

- ماذا حدث هذا الصباح يا (يوشيدا) سان ؟!.. (ميتسو) أخبرنى أن أحدهم تحرّش به ، وسط المؤتمر الصحفى .

أجابه (يوشيدا) فى عصبية :

- الأمر لم يقتصر على هذا يا (أوهارا) ، ولكننى أعتقد أن الشخص نفسه همس فى أذنى ، قائلاً :

« ستدفع الثمن أيها الوغد .. »

بُهت (أوهارا) للقول ، وردّده فى خفوت ، ثم سأل (يوشيدا) فى انفعال :

- كيف يبدو هذا الرجل يا (يوشيدا) سان ؟.. أهو مصرى أم يابانى ؟!.. وهل كان أحد الصحفيين ، أم اندسّ بينهم ، أم ...

هتف به (يوشيدا) فى حدة :

- لست أدرى .. إننى حتى لم ألمحه .. لقد سمعت العبارة ، ثم تلفّتُ حولى ، فلم أجد أحدًا بعينه .. فقط عشرات العيون المحدّقة فىّ فى دهشة :

انعقد حاجبا (أوهارا) فى شدة ، وهو يغمغم :

- العيون ؟!

ثم هتف فى حماس :

- بالطبع يا (يوشيدا) سان .. من المؤكد أن عيوننا الإليكترونية قد سجلت كل ما حدث .

واندفع بطريقة منافية للذوق ، وضغط زر جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يقول فى حماس :

- أريد كل الأسطوانات المسجلة ، عبر أجهزة المراقبة لمدخل الشركة ، عند وصول (يوشيدا) سان هذا الصباح .. سأستقبلها فى مكتبه على الفور ..

ثم انتقل فى نشاط إلى الشاشة الكبيرة ، التى تنقل إلى (يوشيدا) معظم ما يحدث داخل شركته ، وضغط

أحد أزرارها فى حماس ، و (يوشيدا) يسأله :

ـ هل تعتقد أن الأجهزة سجّلت كل شىء ؟

أجابه (أوهارا) ، وهو يراقب الشاشة فى اهتمام :

ـ أنت أكثر علمًا منى بأن أجهزتك تسجّل كل لمحة ، ودون أن تتوقّف لحظة واحدة يا (يوشيدا) سان .

صمت (يوشيدا) ، وهو يراقب الشاشة بدوره فى اهتمام ؛ حتى بدأت إعادة بث مشهد وصوله ، ومحاصرة الصحفيين له ، و ...

وظهر ذلك الرجل ، الذى لوى معصم (ميتسو) خلف ظهره ، فهتف (يوشيدا) :

ـ ها هو ذا .

أشار إليه (أوهارا) ، قائلاً :

ـ رويدك يا (يوشيدا) سان ، أريد معرفة ما إذا كان الشخص نفسه ، الذى همس فى أذنك بتلك الكلمات أم لا .

نقلت الشاشة مشهد الرجل ، وهو يدفع (ميتسو) فى قوة ، ثم يتحرّك فى خفة ، وينحنى على أذن (يوشيدا) ، الذى هتف وهو يراقب المشهد :

ـ إنه هنا .

أسرع (أوهارا) يضغط زر إيقاف الصورة ، ثم مس وجه الرجل بسبابته ، فتكوّنت حولها دائرة صغيرة ، لم تلبث أن تعاظمت مع صورة الوجه ، حتى ملأت الشاشة كلها ، قبل أن يعمل الكمبيوتر على إبرازها ومعالجتها ؛ لتتضح تمامًا ، و ...

وهنا اتسعت عينا (أوهارا) ، وهو يحدّق فى صاحب الوجه ، الذى احتلّ الشاشة كلها ، وهتف :

ـ يا لكل شياطين الأرض !!.. إنه هو .

سأله (يوشيدا) فى انفعال جارف :

ـ هل .. هل تعرفه ؟!

أشار (أوهارا) إلى الشاشة ، هاتفًا :

ـ بكل تأكيد .

ثم التفت إليه ، مستطردًا فى انفعال :

ـ هذا الذى تراه أمامك ليس شخصًا عاديًا يا (يوشيدا) سان .. إنه واحد من أخطر الرجال فى هذا العالم ..

وعاد يحدّق فى الشاشة فى شىء من الفزع ، قبل أن يضيف بصوت مرتجف ، من شدة الانفعال :

ـ رجل يُدعى (أدهم صبرى) .

وانتفض جسده في عنف ..

★ ★ ★

لثوان ، لم يستطع (يوشيدا) استيعاب الأمر ، وظل ينقل بصره بين الوجه الواضح على الشاشة ، والذعر المرتسم على وجه محاميه ، قبل أن يقول في عصبية :

ـ من (أدهم صبرى) هذا ؟!.. أمن المفترض أن نصاب بكل هذا الذعر ، لمجرد أنه هنا ؟!.. إنه مجرد رجل واحد يا هذا ؟!.. ماذا دهاك ؟!

التفت إليه (أوهارا) قائلاً بصوت بالغ الاضطراب :

ـ إنه بالفعل مجرد رجل واحد يا (يوشيدا) سان ، ولكن هذا الرجل الواحد هو الذى حطم (ماتاسا هيرو) ، ومنظمة (اللؤلؤ الأسود) بأكملها(*).

اتسعت عينا (يوشيدا) فى ارتياع واضح ، وهو يتراجع فى مقعده بحركة عنيفة ، هاتفة :

ـ رباه !.. أهو ذلك الرجل ؟!

تطلع (أوهارا) إلى صورة (أدهم) على الشاشة بضع لحظات ، قبل أن يقول فى توتر شديد ، وبصوت يحمل اضطراب الدنيا كلها :

(*) راجع قصة (فارس اللؤلؤ) .. المغامرة رقم (٢٣) .

ـ ربما لا يروق لك كلامى هذا يا (يوشيدا) سان ، ولكن ظهور هذا الرجل يعنى أننا نواجه خطرا داهما بحق .

ظل (يوشيدا) يحدق فى الشاشة طويلاً ، ثم لم يلبث أن انتفض فى عنف وشراسة ، وقال فى حدة :

ـ محال .

ثم ضغط زر جهاز الاتصال الداخلى ، مستطردا فى صرامة :

ـ (ميتسو) .. تعال إلى مكتبى فورا .

قال (أوهارا) فى توتر :

ـ (يوشيدا) سان .. حاول أن تستوعب الأمر ، وتقدره جيدا .. (ميتسو) لا يصلح لـ ...

قاطعه (يوشيدا) فى غضب :

ـ اصمت يا رجل .. دعنى أدير الأمر بأسلوبى هذه المرة .

قال (أوهارا) ، وهو ينهض من مقعده :

ـ (يوشيدا) سان .. أؤكد لك ..

صاح به (يوشيدا) :

ـ قلت لك : اصمت ..

تراجع (أوهارا) فى توتر بالغ ، فى نفس اللحظة التى دلف فيها (ميتسو) إلى الحجرة ، وانحنى فى احترام بالغ ، قائلاً :

- أوامرك يا (يوشيدا) سان .

أشار إليه (يوشيدا) فى صرامة ، قائلاً :

- (ميتسو) .. ذلك الرجل الذى تحرّش بك فى الصباح .. أريد منك أن تبحث عنه ، و ..

قاطعه المحامى فى صوت مرتجف ، وهو يحدّق فى شاشات المراقبة الأساسية :

- لن تكون به حاجة للبحث عنه يا (يوشيدا) سان .

التفت إليه (يوشيدا) فى حركة حادة ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ..

فعلى إحدى شاشات المراقبة ، بدا (أدهم صبرى) ، وهو يدلف إلى الشركة ، بكل الهدوء .. وكل الثقة .

* * *



٣ - الرجل ..

« أريد مقابلة (يوشيدا) سان .. »

ألقى (أدهم) عبارته فى هدوء عجيب ، وهو يواجه رئيس طاقم الأمن ، فى شركة الإليكترونيات ، فتطلّع إليه الرجل بنظرة طويلة ، شملته من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، قبل أن يسأله فى برود بالإنجليزية :

- ولماذا تريد مقابلته ؟!

أجابه (أدهم) ببرود مماثل :

- أمر شخصى .

انعقد حاجبا رئيس الأمن ، وقال فى صرامة :

- لا توجد أمور شخصية هنا .

أطلّت من عينى (أدهم) نظرة صارمة للغاية ، وهو يقول :

- أخبره فقط أننى أريد مقابلته .

بدت الدهشة على وجه رئيس الأمن ، وهو يسأله :

- ومن أنت بالضبط ؟!

مال (أدهم) نحوه ، قائلاً :

- (سام واتكنز) .. مهندس إليكترونيات من (نيو أورليانز) .

« يا لجرأته !!.. »

غمغم (أوهارا) بالكلمة فى توتر ، وهو يراقب ذلك المشهد على الشاشة ، فى حجرة (يوشيدا) ، الذى قال فى عصبية :

- ما الذى يسعى إليه هذا الرجل ؟!.. إنه لم يحاول حتى أن يغيّر من هيئته .

تمتم المحامى :

- ربما تصوّر أننا لن نتعرّفه .

قالها ، وهو يتطلّع إلى الشاشة ، ويراقب (أدهم) ، الذى وقف هادئًا ، ورئيس الأمن يجرى اتصالاً بمكتب (يوشيدا) ، قائلاً فى تردُّد :

- معذرة يا (يوشيدا) سان ، ولكن هناك مهندس اليكترونيات أمريكى ، يُدعى (سام واتكنز) ، من (نيو أورليانز) ، يطلب مقابلتك شخصيًا .

تنهّد (يوشيدا) فى عمق ، ثم ضغط زر جهاز الاتصال ، قائلاً :

- جدول مواعيدى ممتلئ تمامًا اليوم .. اعتذر له ، واطلب منه الحضور فى نفس الموعد غدًا .

ثم أنهى الاتصال ، وهو يشير إلى (ميتسو) ، قائلاً فى صرامة :

- اتبعه .

انحنى (ميتسو) ، قائلاً فى انفعال :

- أمرك يا (يوشيدا) سان .

واندفع لتنفيذ الأمر فى حماس ، فى نفس الوقت الذى التفت فيه رئيس الأمن إلى (أدهم) ، قائلاً فى صرامة :

- هل سمعت ؟!.. يمكنك الحضور غدًا .

ارتسمت على شفتى (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

- بالتأكيد ، وما الضرر فى هذا .

ثم التفت إلى آلة المراقبة ، مستطردًا باليابانية :

- أشياء كثيرة يمكن أن تتغيّر حتى الغد .

احتقن وجه (يوشيدا) ، وهو يقول فى عصبية :

- ماذا يعنى بقوله هذا ؟.. هه .. ماذا يعنى ؟!

اتسعت عينا (أوهارا) ، وهو يغمغم :

- إنه يعلم أننا نراقبه .. يعلم بالتأكيد .

صاح (يوشيدا) فى غضب :

- دعه يعلم .. لو أنه يتحدّانا على هذا النحو السافر ،

فليستعد لمواجهتنا ، ومواجهة سلطتنا وسطوتنا هنا .. أنسيت أنه مازال على أرضنا ، وأننا نملك كل القوة هنا ؟

رمقه (أوهارا) بنظرة شك ، قبل أن ينكمش فى مقعده ، ويتطلع إلى الشاشة ، التى تنقل صورة (أدهم) ، وهو يغادر المبنى ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها (ميتسو) إلى الطابق الأرضى ، وتابع خطوات هذا الأخير السريعة ، وهو يتبع (أدهم) ، ثم غمغم فى خفوت شديد :

- بالطبع يا (بوشيدا) سان .. بالطبع .

أما (أدهم) ، فقد غادر الشركة ، وسار فى شوارع (طوكيو) فى هدوء ، وكأن شيئًا فى العالم أجمع لا يقلق باله ، فى حين راح (ميتسو) يتبعه فى حذر ، ويتنقّل خلفه من شارع إلى شارع ، و ...

وفجأة ، انحرف (أدهم) عن الطريق الرئيسى ، واندفع يعبره وسط رتل السيارات ، متجاهلاً أبواق الاعتراض ، وصرير الإطارات ، وصرخات المشاة والسائقين ، ووثب فوق مقدمة سيارة ، ضغط صاحبها فراملها بكل قوته ، ثم قفز عبر سيارة أخرى ، وتجاوزها إلى الجانب الآخر للشارع ، قبل أن يدلف إلى طريق جانبى ضيق ..

ودون تردد أو تفكير ، اندفع (ميتسو) خلفه ، متجاوزًا بدوره السيارات المسرعة ، وقفز إلى الجانب الآخر ، ومنه إلى الشارع الضيق .

« مرحبًا .. » .

استقبله (أدهم) بالكلمة فى سخرية ، وهو يثب إلى الشارع ، فانتفض جسده فى عنف ، وانطلقت منه صرخة قتالية على نحو غريزى ، وتراجع بقفزة خلفية رشيقة ، وهو يتخذ وضعًا تحفزيًا ، فابتسم (أدهم) ، وهو يقول ساخرًا :

- يا للبراعة !.. هل تمنحنى فرصة للتصفيق ، أم تفضّل أن نشتبك مباشرة أيها الوغد ؟!

احتقن وجه (ميتسو) فى غضب ، وأطلق صرخة قتالية أخرى ..

وانقضّ ..

كانت انقضاضة قوية بارعة ، ولكن (أدهم) استقبلها بانقضاضة أكثر قوة وعنفًا ، متفاديًا ركلة كالقنبلة ، وجهها إليه (ميتسو) ، ليدور حول نفسه بمرونة رائعة ، تتفوّق كثيرًا على إصاباته ، التى لم يشف منها تمامًا بعد ، ثم يركل خصمه فى ظهره ركلة مباشرة ، دفعت (ميتسو) ليرتطم بالجدار ، ثم يستدير

لمواجهة (أدهم) فى غضب هادر ، وهو يطلق صرخة أكثر قوة ، وينقض ثانية ..

وكان القتال عنيفًا بحق ..

ولكن (أدهم) كان متألقًا ..

وربما أكثر من المعتاد ..

كان يبدو وكأنما تضاعفت قوته ومهارته مرتين على الأقل ، مع ذلك الغضب الهادر ، الذى يجرى فى عروقه مجرى الدم ، والتأمت جراحه بنيران الانتقام والرغبة فى الثأر ، التى اشتعلت فى كيانه كله ، وتصاعد دخانها إلى عقله ..

ولم يصمد (ميتسو) ، على الرغم من براعته ، أمام هذا الليث الثائر ، أكثر من دقيقة واحدة ، تفجرت بعدها الدماء من أنفه ، واختنق حلقه بساعد فولاذية ، كادت تعتصر عنقه ، وصاحبها يقول له فى صرامة وحزم ، يمتزجان بموجة من الغضب والحدة :

ـ أبلغ سيدك أنه قد ارتكب خطأ عمره ، عندما قتل السفير ورجال السفارة ، لو أن لديه بقية باقية من العقل والإدراك ، فليقض الساعات المتبقية له فى الحسرة والندم ، قبل أن أدمره تدميرًا ، وأشطب اسمه من سجل الأحياء .



ثم يركل خصمه فى ظهره ركلة مباشرة ، دفعت (ميتسو) ليرتطم بالجدار ..

ثم دفعه في قوة ليرتطم بالجدار ، فصرخ (ميتسو) في ثورة :

ـ القتال لم ينته بعد أيها الـ ...

وبتر عبارته بغتة ، وعيناه تحدقان في المكان بدهشة بلا حدود ..

فلقد اختفى مهاجمه من أمامه ، وكأنما انشقت الأرض وابتلعته ..

اختفى تماما ..

* * *

تفجّر بركان من الغضب في أعماق (فاكو يوشيدا) ، وهو يستمع إلى حارسه ، ويحدق في وجهه المتورّم وأنفه المحطّم ، وكادت أسنانه يحطّم بعضها البعض ، وهو يضرب سطح مكتبه براحته ، قائلاً في حدة :

ـ خطأ يا (ميتسو) .. خطأ .. ما كان ينبغي أن تسمح له بمباغتتك على هذا النحو .. ما كان ينبغي هذا قط .

انحنى (ميتسو) أكثر وأكثر ، على الرغم من آلام أنفه المبرّحة ، وقال في مرارة وخفوت :

ـ سأنفذ كل ما يأمرني به (يوشيدا) سان ، حتى ولو طلب مني الانتحار أمامه .

أشار إليه (أوهارا) ، قائلاً في توتر :

ـ لا داعي يا فتى .. هذه النهاية لم تكن مفاجأة بالنسبة لي .

التفت إليه (يوشيدا) في حدة ، هاتفًا :

ـ ماذا تعني يا رجل ؟!

أجابه المحامي بنفس التوتر :

ـ لقد أخبرتك يا (يوشيدا) سان ، ولكنك رفضت التصديق .. ذلك الرجل أقوى عشر مرات مما تظن وتتصورُ .

احتقن وجه (يوشيدا) ، وهو يقول محتدًا :

ـ لماذا تصرّ على التهويل من شأن ذلك الرجل يا (أوهارا) ؟

مطّ المحامي شفتيه ، وهزّ رأسه في أسف ، مغمغمًا :

ـ لست أفعل يا (يوشيدا) سان .. صدقني .. لست أفعل .. أنت الذي يصرّ على التهوين من شأنه ، وهذا بالضبط ما فعله كل خصومه ، حتى تحطّمت أنوفهم ، قبل أن يدركوا قدراته فوق الطبيعية .

انعقد حاجبا (يوشيدا) ، وهو يتمتم :

ـ خصومه ؟!

أومأ المحامى برأسه إيجابًا ، وتطلّع إلى (فاكو يوشيدا) مباشرة ، وكأنه يرغب فى مراقبة رد فعله جيدًا ، وهو يقول :

- نعم يا (يوشيدا) سان .. (المافيا) و(الموساد) ، والمخابرات المركزية الأمريكية ، والمخابرات السوفيتية ، و ...

قاطعه (يوشيدا) ، فى مزيج من الدهشة والتوتر :

- كل هؤلاء ؟!

أشار (أوهارا) بسبّابته ، وهو يجيب فى سرعة :

- وكلهم ذاقوا الهزيمة المرّة على يديه ، ومن بينهم (ماتا ساهيرو) ، ومنظمته القوية .. سابقًا .

انعقد حاجبا (فاكو يوشيدا) فى شدة ، وبدا على ملامحه أن عناده قد انخفض كثيرًا عن ذى قبل ، وهو يدير الأمر ويزنه فى رأسه جيدًا ، قبل أن يرفع عينيه إلى المحامى ، مغمغمًا فى عصبية :

- ولكن هناك وسيلة حتمًا للتصدّى له .. إنه مجرّد رجل واحد .

مطّ (أوهارا) شفتيه ، وتنهّد فى عمق ، واتجه إلى النافذة ، وطال صمته ، وهو يتطلّع عبرها ، قبل أن يقول :

- هناك وسيلة واحدة يا (يوشيدا) سان .. نفس الوسيلة التى استخدمناها للتخلص من السفير .

قال (يوشيدا) فى توتر :

- أتقصد ...

التفت إليه المحامى ، مجيبًا بسرعة :

- نعم يا (يوشيدا) سان .. ليس أمامنا سوى (ناتاسون) .. (ناتاسون) ومقاتلى (النينجا) .

وكان هذا يعنى فصلاً جديدًا من المعركة .. ومن الخطر ..

* * *

لم تكد الطائرة الخاصة الصغيرة تهبط فى (يوكوهاما) ، حتى غادرها (أوهارا) إلى سيارة أعدّها له أحد رجال مكتب (يوشيدا) هناك ، وأسرع سائقها يفتح له الباب الخلفى ، وهو ينحنى فى احترام ، ولكن (أوهارا) قال فى خشونة صنعها توتره الملحوظ :

- سأقود السيارة بنفسى .

ارتفع حاجبا السائق فى دهشة ، وهو يقول :

- ولكن هذا لا يصحّ يا (أوهارا) سان ، و ...

قاطعه فى حدة :

- لا تناقش .

كانت دهشة السائق كبيرة ، ولكنه لم يعترض ، وإنما انحنى انحناءة حادة ، كاد رأسه يرتطم معها بالسيارة ، وهو يقول :

- أمرك يا (أوهارا) سان .

استقلّ المحامى السيارة ، وانطلق بها مبتعدًا ، فى عصبية واضحة ، وهو يغمغم متوترًا :

- اللعنة !.. الوقت يمضى بأسرع مما ينبغى .

وطوال رحلته ، التى استغرقت ما يقرب من الساعة ، لم يتوقف لحظة عن دراسة الأمر ، وتقليبه على كل الوجوه ، ومراجعة كل معلوماته عن (أدهم) ، وتاريخه الحافل فى الصراع والقتال ، حتى بلغ تلك المنطقة المقفرة ، التى لا يمكنه الاستمرار بعدها ، فأوقف السيارة عند بداية الأرض الوعرة ، ومسح عرقًا وهميًا عن جبينه ، وهو يغادرها ، متطلعًا إلى التل البعيد ، والمعبد الصغير على قمته ، ثم جابت عيناه الأرض فى توتر ، قبل أن يهتف بصوت مرتفع :

- لدى موعد مع (ناتاسون) سان .

قالها ، وهو يراقب المكان ، متوقعًا ظهور أحد (النينجا) بغتة ، ولكن كل شىء ظلّ هادئًا ، ساكنًا ، وكأنه يقف أمام أرض مقابر ، و ...

وفجأة ، مس شىء بارد حاد عنقه من الخلف ، فانتفض جسده فى عنف ، وانطلقت من حلقه شهقة قوية ، واستدار بسرعة محدقًا فى ذلك الشبح الأسود الواقف خلفه ، والذى يرمقه بنظرة صارمة ، من خلف قناع مخيف ، وسيفه القوى الحاد مصوَّب إلى عنقه مباشرة ، ثم هتف فى ارتياع :

- أنا (أوهارا) .. المحامى (أوهارا) .

ظلّ مقاتل (النينجا) يرمقه بنظرة صارمة ، قبل أن يشير بطرف سيفه إلى المعبد ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فازدرد (أوهارا) لعابه فى صعوبة ، وسار أمام المقاتل ، دون أن يجرؤ على الالتفاف خلفه ، حتى بلغ ذلك السلّم المحفور فى التل ، فاستدار إليه فى توتر ، مغمغمًا :

- هل .. هل اصعد إلى الـ ..

بتر عبارته فى ذهول ، وهو يحدق فى المنطقة الخالية ، التى اختفى منها مقاتل (النينجا) تمامًا ، وكأنما تلاشى فى الهواء ، وكاد يصرخ متسائلاً أين ذهب ، لولا أن ارتفع من أعلى التلّ صوت (ناتاسون) ، وهو يقول :

- مرحبًا يا (أوهارا) .. فى موعدك بالضبط كالمعتاد .

احتقن وجه المحامى ، وهو يقول فى حدة :

- أمن المحتم أن يفزعنى رجالك فى كل مرة يا (ناتاسون) ؟!

ابتسم (ناتاسون) فى شىء من الزهو ، وهو يقول :

- إنه عملهم :

ثم أشار إليه فى حزم ، مستطردًا :

- هيا .. أصعد .

لهث (أوهارا) من فرط الانفعال ، وهو يصعد إليه ، قائلاً :

- فليكن يا (ناتاسون) .. أنا مضطر لاحتمالك ، حتى تنتهى هذه المهمة .

قهقه (ناتاسون) ضاحكًا ، وهو يقول :

- إنك تردد هذا القول منذ سنوات يا رجل .

وقاده فور صعوده إلى المعبد ، ومنه إلى مركز تدريب (النينجا) السرى أسفله ، وهو يستطرد :

- ولكن أخبرنى .. لقد نجحنا بالفعل فى قتل ذلك السفير ، فما الذى يدعو (يوشيدا) إلى طلب تعاوننا مرة أخرى بهذه السرعة ؟!

أجابه (أوهارا) بسرعة :

- يبدو أن المصريين قد أرسلوا أخطر رجالهم ، بسبب ما حدث .

توقف (ناتاسون) ، وهو يسأل فى اهتمام :

- وكم رجلاً أرسلوا ؟!

تنحنح المحامى ، قبل أن يجيب :

- رجل واحد .

حدق (ناتاسون) فى وجهه بدهشة ، قبل أن يهتف مستنكرًا :

- رجل واحد ؟!

ثم انفجر ضاحكًا ، وقهقه فى قوة ، مستطردًا :

- يا لكم من رجال !.. هل تفكرون فى الاستعانة بمقاتلى (ناتاسون) ، للقضاء على رجل واحد ؟!

أجابه المحامى بلهجة مستفزة :

- هل تنصح بالتعاقد مع مقاتلين إضافيين لتدعيمكم ؟

توقف (ناتاسون) عن الضحك ، ورمقه بنظرة غاضبة ، قائلاً :

- لهجتك لا توحى بالمزاح يا رجل .

قال (أوهارا) فى حدة :

- لأننى لا أمزح على الإطلاق يا هذا .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـ فالرجل الذى أرسله المصريون نجح من قبل فى هزيمة أقوى أجهزة المخابرات فى العالم وحده ، وحطم كل زعماء (المافيا) .. ثم إنه الرجل الذى قضى على (ماتاساهيرو) ، ومنظمة (اللؤلؤ الأسود) كلها .

تألقت عينا (ناتاسون) دلالة على الفهم ، عندما نطق المحامى عبارته الأخيرة ، وقال فى صرامة :

ـ آه .. أهو ذلك الرجل ؟!

ثم التقى حاجباه فى شدة ، قبل أن يستطرد :

ـ أنت على حق يا (أوهارا) .. الأمر يستحق ترتيبات خاصة ، مادام يتعلق بذلك الرجل .

وتوقف صامتًا بضع لحظات ، يراقب مقاتليه فى تدريباتهم العنيفة ، قبل أن يقول :

ـ هل تعلم يا (أوهارا) .. التدريبات التى يتلقاها مقاتلونا ، منذ نعومة أظفارهم ، تجعل الواحد منهم بمثابة فرقة قتالية كاملة ، والزى المضاد للرصاصات ، الذى ابتكرناه ، مع التعديل المقترح عليه ، من حيث إضافة غطاء للرأس مضاد للرصاصات أيضًا ، ومنظار الرؤية الليلية ، وأجهزة السمع الفائقة ، يصبح الواحد منهم أشبه بجيش كامل .

وصمت لحظة قبل أن يضيف فى صرامة :

ـ هذا لو وافق (يوشيدا) على مطالبنا .

سأله المحامى فى حذر :

ـ أية مطالب ؟!

أجابه (ناتاسون) :

ـ تمويل التعديلات المقترحة .

التقى حاجبا المحامى ، وبرزت طبيعته المراوغة ، وهو يقول :

ـ أتعنى أن هذا أجركم عن المهمة ؟!

هزّ (ناتاسون) رأسه نفيًا ، وقال فى حزم :

ـ كلا .. هذا ما ينبغى منحنا إياه ، قبل أن تبدأ المهمة ، فلقد خسرنا أربعة رجال فى المهمة السابقة ، ولست مستعدًا لخسارة مقاتل آخر .

مطّ المحامى شفتيه ، وتنهد فى عمق ، قائلاً :

ـ هذا مطلب مبالغ يا(ناتاسون) .. سأقنع (يوشيدا) سان بتمويل هذه التعديلات ، وأنت تعلم أنها ستتكلف ملايين الدولارات ، ولكن هذا يكفى فى رأيى ثمنًا لمهمة كهذه .

راحا يتفاوضان حول الأمر ، حتى انتهيا إلى اتفاق وسط ، فاعتدل (ناتاسون) ، قائلاً :

- فليكن يا (أوهارا) .. لو وافق (يوشيدا) على ما انتهينا إليه ، فاعتبر أننا قد قبلنا المهمة ، ولكننى أريد كل ما يمكنك الحصول عليه من معلومات ، حول ذلك الرجل ، وقدراته ، والجهات التى تصدّى لها .. كل ما يمكنك يا (أوهارا) .

أومأ المحامى برأسه متفهمًا ، وغمغم :

- لا تجعل هذا الأمر يقلقك يا (ناتاسون) .. لقد أحضرت لك هذه المعلومات بالفعل .

قالها ، وهو يفتح حقيبته ، ويلتقط منها ملفًا ضخمًا ، حدّق (ناتاسون) فيه بدهشة ، ثم التقطه ، قائلاً :

- عظيم .. سندرس الأمر كله ، وسنصل إلى (طوكيو) هذا المساء ، لتبدأ المهمة ، فى حالة موافقة (يوشيدا) .. وحتى ذلك الحين ، أريد منكم أن تبذلوا قصارى جهدكم ؛ للعثور على الرجل ، وتحديد موقعه .

وانعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يستطرد :

- واتركوا الباقى لـ (ناتاسون) .. ومقاتليه .

نطقها بلهجة تحمل كل الحزم ..

وكل الشر ..

* * *

التقى حاجبا (فاكو يوشيدا) فى توتر ، وهو يجرى حساباته الدقيقة بنفسه ، على شاشة الكمبيوتر الخاص به ، قبل أن يرفع عينيه إلى (أوهارا) ، قائلاً فى صرامة :

- هل تعلم كم سيكلفنا مطلب (ناتاسون) هذا ؟!.. ما يقرب من أحد عشر مليونًا .. ألا تجد أنه ثمن باهظ للقضاء على رجل واحد ؟!

أشعل المحامى سيجارًا فاخرًا ، وهو يغمغم :

- إنه ليس رجلاً عاديًا يا (يوشيدا) سان .

ضرب (يوشيدا) سطح مكتبه براحته ، هاتفًا :

- ولكنه مجرد رجل واحد ، مهما كانت قيمته .

مطّ (أوهارا) شفتيه فى ضجر ، ونفث دخان سيجاره بلا تعليق ، فى حين نهض (يوشيدا) من خلف مكتبه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، واتجه فى خطوات بطيئة إلى نافذة حجرة مكتبه ، ووقف يتطلع عبرها لبعض الوقت ، ملقيًا نظرة واسعة على المدينة ، التى بدت وكأنها تمتد من أجله إلى مرمى البصر ، قبل أن يحسم رأيه ، ويقول :

- أرى أن نقوم بمحاولة أولاً .

انتفض جسد (أوهارا) على مقعده ، وهو يهتف :

- محاولة ؟!

أجابه (يوشيدا) فى صرامة :

- نعم يا رجل .. لقد سمعتنى جيدًا .. إننى لن ألقى أحد عشر مليونًا ، دون أن أثق تمامًا بحتمية هذا .

قال المحامى معترضًا :

- ولكن يا (يوشيدا) سان ..

قاطعه الملياردير بصرامة أكثر :

- إننا نمتلك رئيس الشرطة ، ولدينا عدد كاف من الرجال ، وشبكة اتصالات قوية ، ويمكننا تمويل جيش كامل من القتلة المحترفين ، والبحث عن ذلك الرجل فى كل شبر من المدينة .. وهذا كله لن يكلفنا مليونًا واحدًا .

قال المحامى :

- هذا الرجل ليس هينًا يا (يوشيدا) سان .

استدار إليه (يوشيدا) فى حركة حادة ، صارخًا :

- وأنا كذلك يا رجل .

ثم عاد إلى مكتبه فى خطوات سريعة ، مستطردًا :

- أنا (فاكو يوشيدا) .. أقوى رجل فى (اليابان) كلها .. ولن أخضع أو أنحنى أمام أحد .. لا ذلك الرجل ، ولا حتى (ناتاسون) ورجاله .. سأدير هذه العملية

بنفسى ، وستعلمون كيف يمكننى معالجة الأمور على أكمل وجه .

قالها ، وهو يضرب أزرار الهاتف فى عصبية ، ثم التقط سماعته ، قائلاً :

- مساء الخير يا (فوجى ياما) .. إنه أنا .. (يوشيدا) سان .

ارتبك رئيس الشرطة ، عند سماع صوته ، وتمتم :

- مساء الخير يا (يوشيدا) سان .. كيف حالك وكيف ...

قاطعه (يوشيدا) فى صرامة :

- اسمعنى جيدًا يا (فوجى ياما) .. المصريون أرسلوا أحد رجال مخابراتهم إلى هنا .

هتف (فوجى ياما) فى شىء من الفزع :

- أرسلوا ماذا ؟!..

تابع (يوشيدا) بنفس الصرامة :

- إنه يقيم هنا بجواز سفر زائف على الأرجح ، وباسم (سام واتكنز) .. جواز سفر أمريكى من (نيو أورليانز) .

ارتبك رئيس الشرطة أكثر ، وهو يقول :

- وماذا تطلب منى بالضبط يا (يوشيدا) سان ؟

لم يرق السؤال لإمبراطور الإليكترونيات الدقيقة ؛ ففى رأيه ، كان ينبغى أن يسأله رئيس الشرطة عما يأمر به ، وليس عما يطلبه ، ولكنه تجاوز عن هذا لدقة الموقف ، وقال فى حزم :

- أن تؤدى مهام وظيفتك يا رجل ، وتلقى القبض على الرجل ؛ بتهمة حمل جواز سفر زائف .

ازدرد رئيس الشرطة لعابه فى صعوبة ، مغمغمًا بلهجة أشبه بالضراعة :

- (يوشيدا) سان .. الموقف متوتر للغاية هذه الأيام ، و ...

قاطعه (يوشيدا) بصوت غاضب صارم :

- ألق القبض عليه يا رجل .

شعر (فوجى ياما) بأنه لا مفرّ أمامه من هذا المأزق ، الذى حوصر فيه بين ضغوط الحكومة ، واتهاماتها له بالتقصير ، إزاء عملية السفارة ، وصرامة وغضب (يوشيدا) ، الذى يطالبه بالتدخل لتعقيد الموقف ، ونعى حظه العاثر ، الذى وضعه فى موقف كهذا ، فغمغم محاولا الفرار :

- ولكننى أجهل أين أجد ذلك الرجل ، ولا كيف يمكننى العثور عليه يا (يوشيدا) سان .

أجابه (يوشيدا) :

- لقد أطلقت رجالى للبحث عنه ، منذ أكثر من خمس ساعات يا رجل ، وأنا واثق من أنهم سيعثرون عليه ، إن عاجلاً أو آجلاً ، وعندئذ ..

لم يتم عبارته ، ولكن (فوجى ياما) فهم ما تعنيه ، وتمنى من أعمق أعماق قلبه أن يعجز رجال (يوشيدا) عن العثور على ذلك المصرى ، وهو يغمغم :

- فليكن يا (يوشيدا) سان .. اعثروا عليه أولاً ، وسوف ..

قبل أن يتم عبارته ، اندفع (ميتسو) إلى حجرة (يوشيدا) ، هاتفًا فى انفعال جارف :

- عثرنا عليه يا (يوشيدا) سان .

تألقت عينا (يوشيدا) ، وكادت أصابعه تخترق سماعة الهاتف ، وهو يقول فى انفعال :

- عثرتم عليه ؟!.. حقًا ؟!

أومأ (ميتسو) برأسه فى حماس ، قائلاً :

- نعم يا (يوشيدا) سان ، عثرنا عليه فى فندق متواضع ، وثلاثون من رجالنا يحاصرونه هناك ، وينتظرون إشارتك للانقضاض عليه ، وتمزيقه إربًا .

بدا مزيج من التوتر والقلق على وجه المحامى ، فى حين عادت عينا (يوشيدا) تتألقان فى ظفر ، وهو يقول لرئيس الشرطة عبر الهاتف :

- يبدو أن الظروف ستعفيك ورجالك من الكثير من العمل يا (فوجى ياما) .. استمع إلىّ جيدًا ، فقد حدث تعديل جوهرى فى الخطة .

واتسعت عينا المحامى فى دهشة بالغة ، وهو يستمع إلى (يوشيدا) ، الذى يشرح خطته لرئيس الشرطة ..

فقد كانت الخطة المحكمة تشفّ عن جانب آخر من جوانب عبقرية (يوشيدا) سان ..

العبقرية الإجرامية .

* * *



٤ - الحرب ..

تنحنح (قدرى) فى حرج ، وهو يدقّ باب حجرة (منى) فى المستشفى ، فى منتصف النهار بتوقيت (القاهرة)(*) ، وسمع صوتها الرقيق يدعوه إلى الدخول ، فدفع الباب فى تردد ، وأطلّ عليها بوجهه المكتظ ، وابتسامته الطيبة الحنون ، وهو يغمغم :

- كيف حالك يا صديقتى العزيزة ؟

ارتسمت ابتسامتها الرقيقة على شفتيها ، وهى تقول :

- أهلاً يا (قدرى) .. تفضّل .

دلف إلى حجرتها ، والتقط مقعدًا ؛ ليضع فوقه جسده الضخم ، و (منى) تستطرد :

- أين (هبة) ؟ لماذا لم تحضر معك ؟

هزّ كتفيه ، قائلاً :

- لديها رحلة إلى (نيويورك) .. إنها مضيفة جوية كما تعلمين .

(*) التوقيت فى (طوكيو) يسبق التوقيت فى (القاهرة) بسبع ساعات كاملة .

أومأت برأسها إيجابًا ، وحاولت أن تحتفظ بابتسامتها لأطول فترة ممكنة ، إلا أنها تهالكت على شفتيها بسرعة ، وهى تسأله :

- ألديك أخبار عن (أدهم) ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

- المفترض أنه و (جيهان) فى قلب (طوكيو) الآن ، وإن كنت أجهل ما إذا كانا قد التقيا أم لا !

شعرت بغصة تنبت فى حلقها ، ثم تسقط إلى قلبها ، وهى تتخيّل (جيهان) إلى جوار (أدهم) فى عمليته الجديدة ، فى نفس الموقع الذى كانت تحتله هى ، قبل إصابتها هذه ، وبذلت جهدًا خرافيًا لإبعاد الصورة عن ذهنها ، وهى تتمتم :

- (قدرى) .. إننى أشعر بالخوف .

تنهّد ، مغمغمًا :

- إنها ليست أوّل مرة ، يواجه فيها (أدهم) خطرًا كهذا .

أطلّ الحزن من عينيها ، وبدا واضحًا فى صوتها ، وهى تقول :

- هذا صحيح ، ولكنها أوّل مرة أشعر فيها بكل هذا العجز ؛ لعدم قدرتى على مشاركته ، والقتال إلى جواره .

أجابها فى سرعة :

- لا بأس .. (جيهان) سوف ..

قبل أن يتمّ عبارته ، أدرك فجأة كم هى قاسية ، فبترها دفعة واحدة ، وأطلّت من عينيه نظرة فزع ، استقبلتها هى بابتسامة تقطر حزنًا ، وهى تتمتم :

- لماذا توقّفت ؟!

ارتبك مغمغمًا :

- لا شىء .. فقط أدركت أن ...

لم يستطع إتمام عبارته ، فتنهّدت هى فى حزن ، وقالت :

- إن (جيهان) أفضل منى ، فى والوقوف إلى جوار (أدهم) .. أليس كذلك ؟!

انفطر قلبه لحزنها ، وقال مندفعًا :

- (أدهم) لا يحتاج إلى من يقف إلى جواره .. لقد اعتاد القتال وحده .

لم يبد عليها أنها سمعته ، وهى تتابع :

- هذا صحيح إلى حد كبير ، فأنا أعرف (جيهان) جيدًا .. لقد كانت زميلتى فى أكاديمية الشرطة .. أنا وهى كنا نحلم بالانضمام إلى المخابرات العامة .. ولقد تحقّق حلمنا معًا .. صحيح أننى حصلت على ترقية

استثنائية ، وسبقتها برتبة واحدة ، إلا أن هذا لا يعنى أننى الأفضل .. (جيهان) دائمًا تتفوق علىّ فى كل شىء .. فى الرماية ، والقتال ، وقيادة السيارات ، والهليوكوبتر .. إنها أكثر صلاحية منى للمهنة .

قال (قدرى) فى حزم :

ـ ولكن (أدهم) يحبك أنت ..

رفعت إليه عينين ملؤهما الحزن ، وهى تقول :

ـ حتى هذه اللحظة .

هتف فى حماس :

ـ بل حتى آخر العمر .. أنت تعرفين (أدهم) أكثر منى ، وتعلمين أنه ليس من الطراز الذى يتخلى عمن يحب قط .

هزت رأسها فى أسى ، وقالت :

ـ أو عمن يشعر نحوهم بالشفقة .

آلمته لهجتها التى تقطر حزنًا وعذابًا ، فتطلع إليها بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يسألها فى خفوت :

ـ (منى) .. لماذا تفعلين هذا بنفسك ؟!.. لماذا تعذبين بفكرة خيالية ، ليس لها وجود ؟!

التفتت إليه مرة أخرى ، وكأنها لم تسمع سؤاله ، وهى تسأله بدورها :

ـ قل لى يا (قدرى) : ألا ترى مثلى أن (جيهان) تليق بـ (أدهم) أكثر منى ؟!

هتف مخلصًا :

ـ مطلقًا .

ولكنها تابعت فى خفوت :

ـ إنها جميلة ، فاتنة ، راقية ، وجسدها مازال سليمًا فتيًا ، لم تشوهه الطعنات والرصاصات .

قال (قدرى) :

ـ (منى) .. أرجوك .. لا تضعى هذه الفكرة فى رأسك أبدًا .

تنهدت فى عمق ، مغمغمة :

ـ هذا لا يهم يا (قدرى) .. صدقنى لا يهم .. المهم الآن أن ينجح (أدهم) فى مهمته ، وأن يعود إلينا سالمًا .. هذه هى أهم نقطة فى الوقت الحالى يا (قدرى) .

نعم ..

هذا صحيح يا (منى) ..

ـ المهم أن يعود (أدهم صبرى) إليكما .. سالمًا ..

* * *

أحاط رجال (فاكو يوشيدا) بذلك الفندق المتواضع ، الذى يقيم فيه (أدهم) ، تحت اسم (سام واتكنز) ، إحاطة السوار بالمعصم ، وحاصروه من كل الاتجاهات ، وعلى كل المستويات ، فى الطرق المحيطة به ، وعلى أسطح المنازل المجاورة ، وفى الشرفات المطلة عليه .

باختصار ، لم يتركوا ثغرة واحدة ، يمكن أن ينفذ منها فأر صغير ..

وفى حزم صارم ، تحدّث (ميتسو) إلى الرجال ، عبر دائرة لاسلكية مُغلقة ، قائلاً :

ـ قاتلوا دون أن تخشوا شيئاً يا رجال ، فالشرطة لن تداهم المكان إلا بعد أن ننتهى من الأمر .. و (يوشيدا) سان يعدكم بمكافأة مغرية ، إذا ما نجحتم فى القضاء على خصمه ، أما لو فشلتم ، فالويل ، كل الويل لكم .

ازدرد الرجال الثلاثون لعابهم فى توتر ، وكل منهم يقبض على مسدسه أو مدفعه الآلى فى قوة ، فى حين تابع (ميتسو) بنفس الصرامة :

ـ الهدف المنشود يقيم فى الحجرة رقم (٣٠٤) ، ولم يغادرها منذ أكثر من ساعة كاملة ، سنقتحمها بعشرة رجال ، عبر بابها الوحيد ، ونافذتها التى تطل على الشارع الجانبى ، أما الباقون فعليهم الانتظار فى

تحفز ، لمواجهة ذلك الرجل ، إذا ما نجح فى الفرار من فرقة الاقتحام .. هل فهمتم ؟!

أتاه رد بالإيجاب ، من ثلاثين رجلاً دفعة واحدة ، عبر دائرة اللاسلكى المغلقة ، فقال :

ـ عظيم .. فلنبدأ على الفور .

تحرك الرجال العشرة فى خفة ، فور تلقى الأمر بالتنفيذ ، فاتجه سبعة منهم إلى ذلك الممر فى الطابق الثالث من الفندق ، حيث حجرة (أدهم) ، فى حين تسلق الثلاثة الآخرون الجدار فى خفة ، حتى بلغوا النافذة ، فأطل أحدهم عبرها فى حذر ، وهو يهمس للآخرين ، عبر دائرة اللاسلكى المغلقة :

ـ كل شىء هادئ فى الحجرة .. الهدف نائم فى فراشه .. إننى أراه من موضعى فى وضوح ، وباب الحجرة مغلق من الداخل .

أتاه صوت (ميتسو) ، وهو يقول فى حماس :

ـ عظيم .. استعدوا لاقتحام الحجرة على الفور .. أمطروه برصاصاتكم فور الاقتحام ، ولا تمنحوه حتى فرصة الخروج من تحت الغطاء .

أجابه قائد الرجال السبعة عند الباب :

ـ أمرك يا (ميتسو) سان .

ثم أشار بيده لرجاله ، مستطردا :

ـ استعدوا .

جذب الرجال إبر مسدساتهم ، وبابات مدافعهم الآلية ، وارتسم مزيج من الشر والحزم على وجوههم ، ثم اندفعوا لاقتحام الحجرة ، فى نفس اللحظة ، التى هتف فيها المراقب عند النافذة :

ـ مهلا .. هناك عود ثقاب مثبت فى الباب ، وورقة خشنة فى الإطار .. أخشى أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، كان الرجال قد اقتحموا المكان بالفعل ..

ومع ضربتهم القوية للباب ، احتك عود الثقاب بالورقة الخشنة ..

واشتعل ..

ولجزء من الثانية ، التقطت أنوف المهاجمين رائحة الغاز فى المكان ، وأدركت عيونهم أن ذلك الراقد فى الفراش ليس سوى دمية خشبية ، و ...

وفى الجزء الثانى من الثانية دوى الانفجار ..

وانتفض جسد (ميتسو) فى عنف ، عندما اندفعت النيران عبر النافذة ، محطمة زجاجها أمامها فى قوة ،

ومطيحة بالرجال الثلاثة ، فى نفس اللحظة ، التى سحق فيها الانفجار ، زملاءهم السبعة عند الباب ..

وفى نفس اللحظة ، التى دوى فيها الانفجار ظهر (أدهم صبرى) ..

اندفع عبر نافذة أخرى ، فى الطابق الرابع ، ووثب منها إلى سطح المبنى المقابل ، على نحو بالغ المرونة والرشاقة ، وهبط على قدميه وسط ثلاثة من رجال (ميتسو) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ هل راقت لكم الألعاب النارية ؟!

وقبل حتى أن تكتمل عبارته ، أو يفيق الرجال الثلاثة من ذهول المفاجأة ، كان يهوى بقبضته اليمنى على فك أحدهم ، ويطيح به لمترين كاملين ، فى نفس اللحظة التى حطمت فيها قبضته اليسرى أنف الثانى ، ثم تجاوزت سقوطه لتقبض على ماسورة المدفع الآلى ، الذى يحمله الثالث ، وترفع فوهته عاليًا ، لتنطلق منه الرصاصات بدوى مخيف ، و (أدهم) يكمل :

ـ أم أنكم اعتدتموها .

وارتفعت قدمه لتركل الرجل بين ساقيه فى عنف شديد ، جعله يطلق شهقة قوية ، وينثنى إلى الأمام ، فانتزع (أدهم) مدفعه الآلى من يده ، وهوى به على مؤخرة عنقه بكل قوته ..



ووثب منها إلى سطح المبنى المقابل ، على نحو بالغ المرونة والرشاقة ..

واتسعت عينا (ميتسو) فى ارتياع ، وهو يراقب هذا المشهد ، ثم لم يلبث ارتياعه أن تحوّل إلى غضب هادر ، وهو يصرخ ، مشيرًا إلى السطح :

- ها هو ذا .. اقتلوه يا رجال .. اقتلوه .

وانهال سيل من الرصاصات على السطح ، الذى يقف فوقه (أدهم) ..

ولكن هذا الأخير لم يتوقّف ليتلقّى الرصاصات ..

لقد انطلق يعدو بأقصى سرعته ، حاملاً المدفع الآلى ، الذى انتزعه من الرجل ، ووثب من السطح إلى آخر ، يحجب عنه بانخفاضة تلك الرصاصات ، فصرخ (ميتسو) فى ثورة :

- طاردوه .. الحقوا به .. لا تنسوا مكافأة (يوشيدا) سان ، وعقابه .

وانطلق سبعة عشر رجلاً خلف (أدهم) ، فى واحدة من أعنف المطاردات ، التى شهدتها العاصمة اليابانية ، وأعجبها ..

لقد كان (أدهم) ينتقل من سطح إلى سطح ، بخفة الغزال وقوة الفهد وسرعة النعامة ، ومطاردوه يلهثون خلفه ، ولا يستطيعون حتى إجادة التصويب عليه ، من شدة سرعته وإرهاقهم ..

أما قائدهم (ميتسو) ، فقد راح قلبه ينتفض فى صدره ، وكل قطرة دم فى جسده ترتجف توترًا وانفعالا .

إنه يدرك جيدًا أن (فاكو يوشيدا) لن يغفر له فشله فى اقتناص ذلك الرجل ..

لن يغفر له هذا أبدًا ..

وفى الوقت نفسه ، بدا له من الواضح أن (أدهم) أكثر مهارة من كل رجاله ..

وأكثر خبرة وحنكة ..

لذا فالاعتماد على القوة والكثرة وحدهما لن يثمر شيئًا ..

ولا بد من إعمال العقل ..

والتفكير ..

والحيلة ..

ولثوان ، تابع ببصره ذلك المسار ، الذى يتخذه (أدهم) فى المطاردة ، ثم أشار إلى سبعة من رجاله ، هاتفًا :

ـ اتبعونى .

لم يفهم الرجال ما يفكّر فيه بالضبط ، ولكنهم أطاعوه دونَ مناقشة ، وانفصلوا عن فريق المطاردة ، وتبعوه على الفور ..

أما الباقون ، فقد واصلوا مطاردة (أدهم) عبر الأسطح ، ورأوه يثب إلى سطح جديد ، ولم يكد يبلغ حافته ، حتى قفز قفزة قوية إلى الحافة المقابلة ، دون أن يطأ السطح نفسه بقدميه ، ثم ينتقل منه إلى سطح آخر ..

ودون أن يفكّروا فى تفسير ما فعله ، لحقوا به إلى ذلك السطح ، واندفعوا فوقه ، و ...

وفجأة ، انهار السطح تحت أقدامهم ..

وقبل أن يستوعب الرجال العشرة ما حدث ، سقط أربعة منهم عبر الفجوة عبر طابقين من الفراغ ، قبل أن يرتطموا بالأرض فى عنف ، وهتف أحد الستة الآخرين فى غضب :

ـ اللعنة !.. إنه فخ .. ذلك الرجل قادنا إلى هنا عمدًا ، وغطى السقف المفتوح ببعض ورق الحائط ، الذى لم نتبيّنه مع ضعف الإضاءة .

غمغم آخر فى توتر بالغ :

ـ ربّاه !.. إنه لا يتحرك عشوائيًا .. لقد وضع خطة مسبقة .

صاح الأول فى غضب :

ـ ولو .. لن يمنعنا هذا من الظفر به .. هيا تواصل المطاردة يا رجال .

انطلقوا مرة ثانية خلف (أدهم) ، وقد حملت قلوبهم الكثير من التوتر والقلق هذه المرة ، بعد أن أدركوا أن خصمهم يدرك جيداً ما يفعله ، وإلى أين يتجه بالضبط ، فى حين لا يملكون هم سوى أن يتبعوه ، والخوف يملأ قلوبهم ..

وبعد أن تجاوزوا ثلاثة أسطح ، أشار إليهم قائدهم ، قائلاً :

ـ مهلاً .. أين ذهب ذلك الرجل ؟!.. إننا لا نلمحه منذ فترة .

تلفتوا حولهم فى توتر شديد ، وقال أحدهم ، وعيناه تدوران فى وسط رأسه :

ـ ربما يختفى فى مكان ما .

سأله القائد فى عصبية :

ـ أين ؟!

أمسك أحد الرجال يده فى قوة ، وهو يهمس فى انفعال :

ـ هناك .

أدار الجميع عيونهم بسرعة إلى حيث يشير ، وخفقت قلوبهم فى قوة ، عندما لمحوا جسداً يختفى

خلف مدفأة كبيرة على السطح المقابل ، وميزوا فيه نفس الحلة ، التى يرتديها (أدهم) ، وتحفزت أيديهم وأسلحتهم ، ولكن قائدهم أشار إليهم فى حزم ، قائلاً :

ـ مهلاً يا رجال .. لا تهاجموا مباشرة ، فربما كان فخاً آخر .

تضاعف توترهم ، وأحدهم يقول :

ـ هل نتركه يفلت ؟

أجابه قائده فى حزم ، وهو يشير إلى ماسورة المدفع الآلى ، التى تبرز من خلف المدفأة :

ـ مطلقاً .. ولكننا سنباغته ، بدلاً من أن يباغتنا .

وبإشارة مدروسة من يده ، انقسم الرجال إلى فريقين ، وثب كل منهما إلى أحد جانبى السطح المقابل ، وتحركا فى خفة وحذر نحو ذلك الجسم ، ثم قفز قائدهم نحوه بغتة ، وهو يهتف :

ـ أطلقوا النار .

وبلا تردد ، ودون إضاعة جزء من الثانية ، انطلقت رصاصات الرجال الستة فى غزارة وسخاء ..

ونحو الهدف مباشرة ..

* * *

احتقن وجه وزير الخارجية اليابانى فى شدة ، وهو يواجه (فاكو يوشيدا) فى مكتبه ، فى مبنى وزارة الخارجية ، هاتفا فى غضب :

ـ لا تحاول الإنكار يا (يوشيدا) سان .. صحيح أننا لا نمتلك دليلاً واحدًا لإدانتك ، ولكن كل مخلوق هنا يدرك جيدًا أنك وراء مذبحة السفارة المصرية ، التى وضعت حكومتنا كلها فى موقف لا تحسد عليه ، والتى قد تؤدى إلى تغيير وزارى محدود ، أو إلى سقوط الوزارة كلها .

بدا (يوشيدا) باردًا كلوح من الثلج ، وهو يقول :

ـ هل أحضرتنى من مكتبى إلى هنا على وجه السرعة ؛ لتقول لى هذا أيها الوزير ؟!

أجابه الوزير فى عصبية :

ـ أيبدو لك هذا أمرًا تافهًا ؟

أجاب (يوشيدا) :

ـ بل يبدو أمرًا غير ذى معنى .. أنت نفسك قلتها .. لا يوجد دليل واحد لإدانتى .. مجرَّد فكرة حمقاء ، استقرَّت فى رءوسكم ، وآمنتم بها أكثر من الحقيقة نفسها .

هتف الوزير فى حدة :

ـ (يوشيدا) سان .. إنك تتجاوز ..

قاطعه (يوشيدا) فى صرامة :

ـ رويدك أيها الوزير .. أنا لم أتمّ حديثى بعد .

حدّق الوزير فى وجهه بدهشة ، والرجل يستطرد فى صرامة أكثر .

ـ وزارتك هذه ، بل وحكومتكم كلها لا تعنينى .. فلتذهب إلى الجحيم ، لو أنها عاجزة عن البقاء ، ولكنكم لن تتخذوا من (فاكو يوشيدا) ذريعة للفشل .. أنا هنا من قبل أن تأتى حكومتكم ، وسأظلّ باقيًا بعد أن تذهب .. ابذلوا قليلاً من الجهد ، وابحثوا عن المسئولين عن حادث السفارة أو مذبحتها ، أو كيفما يحلو لكم تسميتها ، ولكن بعيدًا عن أنفى .. هل تفهم ؟

تراجع الوزير مبهوتًا ، أمام هذه اللهجة الهجومية العنيفة ، فى حين نهض (يوشيدا) ، والتقط قبعته ، مستطردًا :

ـ وفى المرة القادمة ، عندما تريد أن تتحدث إلى فى تفاهات كهذه ، فعليك أن تأتى لزيارتى فى مكتبى ، فـ (فاكو يوشيدا) لن ينتقل لمقابلة أى شخص ، بعد هذه المرة .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اندفع مدير مكتب الوزير إلى الحجرة ، وهو يقول فى انفعال شديد :

ـ سيّدى الوزير .. وصلتنا أنباء عاجلة عن قتال عنيف ، يحتدم فى الحى القديم .

ارتفع حاجبا الوزير ، وهو يقول مبهوتًا :

ـ قتال عنيف ؟!.. وما شأننا نحن بأمر كهذا ؟!.. لماذا لم يبلغوا وزارة الداخلية ؟!

أجابه الرجل فى توتر :

ـ إنهم يعتقدون أنه امتداد لمذبحة السفارة يا سيّدى .

احتقن وجه الوزير أكثر وأكثر ، وأدار عينيه إلى (يوشيدا) ، الذى بدا وجهه باردًا كالثلج ، وهو يقول :

ـ هل ستتهمنى بهذا أيضًا ؟!

لم ينطق الوزير بحرف واحد ، ولكن كل خلجة من خلجاته كانت تجيب بالإيجاب ..

إنه واثق بأن (فاكو يوشيدا) وراء ذلك القتال أيضًا ..

ولكنه لا يملك دليلاً واحدًا على هذا ..

أو حتى قرينة ..

وفى صمت تام ، وتوتر بلا حدود ، وقف الوزير عاجزًا ، يراقب (يوشيدا) ، الذى غادر مكتبه مرفوع

الرأس فى اعتداد ، فى حين كاد هذا الأخير يطلق ضحكة ساخرة من أعماقه ، وهو يدلف إلى سيارته ، ولم يكد سائقه الخاص ينطلق بها ، حتى التقط سمّاعة هاتفه ، وطلب رقم رئيس الشرطة ، ولم يكد يسمع صوته ، حتى قال فى حزم :

ـ حان دورك يا (فوجى ياما) .. نفذ .

وأنهى المحادثة ، دون أن يستمع إلى جواب محدثه ، واسترخى فى مقعده ، وترك ابتسامته الساخرة تطفو على شفتيه ..

وتتسع ..

وتتسع ..

وتتسع ..

* * *

انطلقت رصاصات الرجال الستة نحو الهدف بمنتهى الدقة ، وهم يطلقون صيحات ظافرة قوية ، وأجسادهم تنتفض من فرط الانفعال ، ومع ارتجاجات ردود أفعال مدافعهم الآلية ..

وترددت فى المكان ضحكة عجيبة ..

ضحكة آلية مسجلة ، انطلقت من داخل ذلك الجسم الذى أصابته رصاصاتهم ، على نحو احتقنت له وجوههم ، وهتف له قائدهم :

- يا للشيطان !.. إنها خدعة أخرى .

هتف أحدهم ذاهلاً :

- ولكن المدفع الآلى ..

قبل أن يتمّ عبارته ، وثب (أدهم) بغتة من السطح الآخر نحوهم ، وانطلقت رصاصات مسدسه (الوالتر ب ٣٨) ، وجسده يسبح فى الهواء ، وأطاحت بأسلحة ثلاثة من الرجال ، قبل أن يهبط على السطح نفسه ، على مسافة عشرة أمتار منهم ، فصرخ القائد بالآخرين :

- أطلقوا النار يا رجال .. اقتلوه .

انطلقت رصاصات المدافع الآلية للرجال الثلاثة نحو (أدهم) ، إلا أنه ألقى نفسه أرضًا ، وانزلق فى خفة مدهشة ، وهو يطلق الرصاصات الثلاث المتبقية فى خزانة مسدسه ؛ ليحطم يد أحد الثلاثة ، ويصيب الثانى فى كتفه ، وينسف رأس الثالث ..

ثم وثب واقفًا على قدميه ..

وانقضّ ..

ولم يكن أثر المفاجأة قد تلاشى من رءوسهم بعد ، عندما حطمت قبضته فك أحدهم ، وأنف الثانى ، ثم غاصت قدمه فى معدة الثالث ، وركلت الثانية أسنان

الرابع ، واجتمعت قبضتاه ؛ لتهويا على مؤخرة عنق الخامس ..

كان قتالاً خاطفًا ، أشبه بصاعقة هوت على رءوس الجميع ، فى لحظة واحدة ، وسحقتهم سحقًا فى ثوان معدودة ..

ولهث (أدهم) ..

أمسك صدره براحته ، وراح يلهث فى قوة ، وهو يستند إلى حاجز السطح ، بعد هذا الجهد الهائل الذى بذله ، والذى فجّر فى جسده آلامًا بلا حدود ..

ولدقيقة كاملة تقريبًا ، لم يتحرك من موضعه ، وهو يحاول التقاط أنفاسه ، والضحكة المسجّلة تتواصل وتتواصل ، حتى غمغم :

- يبدو أنك قد تقدمت فى السن حقًا يا (أدهم) ، وآن للفارس أن يهبط عن صهوة جواده ؛ ليستريح .

التقطت أذناه أصوات أبواق سيارات شرطة تقترب ، فاعتدل فى سرعة ، وعاد يقفز إلى سطح جديد ، وآخر ، حتى بلغ نهاية الأسطح المتوازية ، وهنا هبط فى درجات سلم الطوارئ ، حتى بلغ شارعًا جانبيًا ضيقًا . وهو يتمتم ساخرًا :

- يا للنشاط !.. لو أن رجال الشرطة تحركوا بكل هذا الحماس ، عندما هوجمت السفارة ، لانخفضت الخسائر إلى النصف على الأقل ، وربما كا...

قبل أن يتم عبارته ، صك مسامعه صوت (ميتسو) ، وهو يقول في انفعال غاضب عصبى :

- كنت واثقًا من أن الأمر سينتهى بك إلى هنا .

استدار (أدهم) بسرعة إلى مصدر الصوت ، وهو يمسك مسدسه الخالى من الرصاصات ، ووقع بصره على (ميتسو) ورجاله السبعة ، وهم يصوبون إليه مدافعهم الآلية ، وسمع هذا الأخير يستطرد فى مقت :

- فليكن هذا الشارع الضيق هو مثواك الأخير .

وفى اللحظة التالية مباشرة ، تردد فى الشارع دوى رصاصات صائبة ..

رصاصات أصابت كلها الهدف ..

ودون خطأ واحد .

* * *



٥ - كل القوى ..

« يبدو أنهم حددوا موقع العميد (أدهم) يا سيدى »

نطق مساعد مدير المخابرات العبارة فى شىء من الحماس ، جعل المدير يتطلع إليه فى اهتمام ، ويسأله :

- أين هو ؟

أجابه مساعده فى سرعة :

- فى الحى القديم يا سيدى .

سأله المدير :

- هل التقى به مندوبنا هناك ؟!

هز المساعد رأسه نفيًا ، وقال :

- ليس بعد يا سيدى .

سأله المدير فى حيرة :

- كيف حددوا موقعه إذن ؟

أشار المساعد بسبابته ، مجيبًا :

- لقد اشتبك مع رجال (يوشيدا) هناك .

ارتفع حاجبا المدير ، ثم انخفضا فى بطء ، وهز رأسه لحظة ، قبل أن يتطلع عبر النافذة إلى ساحة المبنى ، ويغرق فى صمت عميق طويل ، جعل مساعده يتمتم :

- إنهم واثقون من أنه أحد طرفى القتال .

غمغم المدير :

- وأنا كذلك .

ثم التفت إليه ، مستطردًا فى حزم :

- كنت واثقًا من أن (أدهم) سيشعل (طوكيو) كلها .

وصمت بضع لحظات أخرى ، ثم أضاف :

- فليكن .. قل لمندوبنا : أن يبذل قصارى جهده ؛ ليلتقى بـ (أدهم) ، ويبلغه كل ما لديه ، ويسلّمه الوثائق الرسمية ، ثم ...

وتنهّد فى عمق ، وهو يعاود التطلّع عبر النافذة ، مستطردًا :

- ثم لن يصبح أمامنا سوى الترقّب .. وانتظار ما سيسفر عنه هذا الأمر .

سأله مساعده فى تردُّد :

- هل تعتقد أن سيادة العميد (أدهم) يمكن أن ينتصر على (يوشيدا) ورجاله هذه المرة يا سيّدى ؟! أعنى وهو يعانى كل هذا ؟!

صمت المدير طويلاً ، وكأنما يدير السؤال فى ذهنه ، ويقلّبه فى رأسه ، قبل أن يقول فى خفوت :

- لست أدرى يا رجل .. الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم لمن يكون النصر هذه المرة .. حقًا لست أدرى .

وكان الرجل على حق تمامًا هذه المرة ..

صحيح أن (أدهم) خصم لا يستهان به ، ولكن الأحداث تمضى به هذه المرة نحو مواجهة رهيبة ، قد لا يكون ندًا لها ..

قد لا يكون كذلك أبدًا ..

* * *

فى آخر مرة ، عندما اختبر (أدهم) سرعته فى استبدال خزانة مسدس فارغة بأخرى مملوءة ، كان يمكنه أداء هذا خلال ثانية واحدة لا أكثر ..

ولكنه ، فى هذا الوقت ، لم يكن يمتلك حتى هذه الثانية ..

لقد صوّب الرجال مدافعهم الآلية إليه ، وأطلق (ميتسو) صيحته ، التى استفزّت مشاعرهم ، وأشعلت حماسهم ، و ...

وانطلقت الرصاصات ..

النقطة الوحيدة ، التى تهمّ القارئ ، فى هذا الأمر ، هى أنها لم تنطلق من رجال (ميتسو) ..

لقد انطلقت نحوهم ..

الرصاصة الأولى اخترقت صدر أولهم ..

والثانية أطاحت بالثانى ..

والثالثة نسفت رأس الثالث ..

وفى نفس اللحظات ، التى انطلقت فيها الرصاصات ، وتشتت انتباه الرجال ، وهم يلتفتون نحو مصدرها ، انتزع (أدهم) خزانة مسدسه الفارغة ، وألقاها جانبا ، والتقط من جيبه خزانة أخرى ، دفعها فى كعب المسدس ، وأداره فى يده بسرعة مدهشة ، وأطلق الرصاصات بدوره ..

ولكن رصاصاته لم تصب الرجال الباقين فى مقتل ..

لقد أطاحت بأسلحتهم فى مهارة مدهشة ، محطمة يد أحدهم ، ومرفق الثانى ، دون أن تخترق أجساد الثلاثة الآخرين ..

وشحب وجه (ميتسو) ورجاله ، وهم يحدقون فى مسدس (أدهم) ، فى حين ارتفع صوت أنثوى ساخر ، يقول :

ـ يا إلهى !.. كنت قد تصورت أنك قد تخليت عن قاعدة الحفاظ على الأرواح هذه ، بعد أن رأيت ما فعلته قبلتك فى الآخرين ، عند الفندق !!

أدار عينيه إلى حيث تقف (جيهان) ، عند مدخل الشارع الضيق ، وقال فى صرامة :

ـ لم تكن قبلة .

لم يفهم (ميتسو) حديثهما ، الذى يدور بالعربية ، ولكنه أشار بإبهامه ، قائلا فى عصبية :

ـ لن يمكنكما الفرار .. الشرطة تحاصر المكان كله ، ولن تسمح لك بالإفلات .. إنهم يحملون صورتك ، ولديهم أوامر بإطلاق النار عليك فور رؤيتك .

التقى حاجبا (أدهم) ، وعبر الأمتار العشرة ، التى تفصله عن (ميتسو) بثلاث خطوات واسعة ، قبل أن يقبض على سترته ، ويجذبه إليه فى عنف ، ثم دفع فوهة مسدسه أسفل ذقنه فى قسوة ، وهو يسأله فى صرامة :

ـ من يعمل لحسابكم ، فى جهاز الشرطة ؟

أجابه (ميتسو) فى عصبية :

ـ هل تتصور أننى سأخبرك ؟!

أطلت من عينى (أدهم) نظرة مخيفة ، وهو يقول :

ـ نعم .. أتصور هذا ؟!

كان (ميتسو) يظن نفسه شجاعا ، إلا أنه لم يكد يتطلع إلى عينى (أدهم) ، حتى ارتجف جسده كله ،

من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، ووجد نفسه يتمتم بصوت خافت مذعور :

ـ لا .. لا يمكننى أن أخبرك .

قال (أدهم) فى صرامة :

ـ دعنى أخمن إذن .. من الرجل الوحيد ، فى جهاز الشرطة ، الذى يمكنه أن يحرك الجميع على هذا النحو ؟! أعتقد أنه رجل واحد ، فى منصب واحد .. أليس كذلك ؟!

اتسعت عينا (ميتسو) فى ارتياع شديد ، جعل عينى (أدهم) تتألقان فى شدة ، وهو يبتسم مغمغمًا :

ـ لا بأس أيها الوغد .. الجواب واضح فى عينيك .

تدخلت (جيهان) عندئذ ، قائلة :

ـ معذرة .. لست أميل إلى التدخل فى شئون الآخرين فى المعتاد ، ولكن رجال الشرطة يقتربون بسرعة ، وليس من الحكمة أن نبقى هنا .

سألها (أدهم) بالعربية :

ـ هل يحاصرون المكان كله بالفعل ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ من الواضح أنها خطة محكمة لتصفيتك .

ثم ألقت إليه سلسلة مفاتيح ذهبية أنيقة ، مستطردة :

ـ ولكن الأمل مازال قائمًا .

التقط السلسلة ، وألقى نظرة على مفتاح السيارة المعلق بها ، وهى تبتسم متابعة :

ـ كالمعتاد .. رياضية .. صغيرة .. حمراء .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـ آه .. نسيت أنك تصرين على الفوز بالرقم القياسى لتحطيم السيارات الرياضية .

ثم التفت إلى (ميتسو) ، وتطلع إلى عينيه ثانية ، بنفس النظرة المخيفة ، قائلاً :

ـ قبل أن أمضى ، أريد منك أن تبلغ رسالة لسيدك الوغد .. أبلغه أن ثمن الدماء المصرية غال .. وأن ثروته كلها لن تكفى ثمنًا لها .

وتألقت عيناه ببريق ، كاد قلب (ميتسو) يتوقف معه ، وهو يكمل :

ـ وحدها حياته قد تكفى .

قالها ، ودفع (ميتسو) فى قوة ، فارتطم برجاله ، وسقط الجميع أرضًا ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها (أدهم) و (جيهان) خارج الشارع الضيق ، وقفزا داخل السيارة الرياضية الحمراء ، فهتفت (جيهان) فى جذل :

- مرحى يا رجل .. كم كنت أتوق لشىء من النشاط .

أدار (أدهم) محرك السيارة ، وقال فى حزم :

- لا تحزنى يا عزيزتى .. ستحصلين هنا على الكثير منه .

ثم انطلق بالسيارة ، وقفز بها إلى الشارع الرئيسى ، حيث سيارات الشرطة ، وأطلقت إطاراتها صريرًا مخيفًا ، وهو يدور بها دورة بارعة ؛ ليدفعها فى نهر الشارع ..

وبكل انفعال الدنيا وثورتها ، صرخ قائد مجموعة الشرطة :

- إنه هو .. لا تسمحوا له بالفرار .. أطلقوا النار .

وكعادة اليابانيين ، لم يكن رجال الشرطة بحاجة لأكثر من هذا الهتاف ..

فقبل حتى أن يكتمل ، وضع الجميع الأمر موضع التنفيذ ..

وانطلقت الرصاصات نحو السيارة الرياضية الحمراء .

مئات الرصاصات ..

* * *

لا أحد يدرى ما الذى يحدث بالضبط ، عندما يواجه (أدهم صبرى) خطرًا ما ..

شىء ما فى عقله يتألق بغتة ، ويهيمن على خلايا مخه كلها ، ويلغى منها كل المشاعر والانفعالات ، فيما عدا الحزم والإصرار ..

والعناد ..

ثم يشحذ حواسه كلها ، ويطلق أقصى طاقاته الجسدية ، ويجند كل هذا ، لهدف واحد ..

النصر ..

وفى تلك اللحظة ، فى الحى القديم فى (طوكيو) ، عندما انطلقت رصاصات رجال الشرطة ، نحو السيارة الرياضية الحمراء ، التقى حاجباه فى حزم صارم ، وضغط دواسة الوقود فى قوة ، وهو يصيح فى (جيهان) :

- اخفضى رأسك .

أطاعته بسرعة ، وهى تغمغم :

- أليس لى الحق فى إطلاق بعض الرصاصات ؟!

لم يعلق على عبارتها ، وصوت ارتطام الرصاصات بجسم السيارة يدوى فى أذنيه ، وزجاجها الأمامى والخلفى يتحطم ، وتتناثر شظاياه داخلها فى عنف ،

وهو يخفض رأسه ، وينحرف بالسيارة إلى اليمين ، ثم يندفع بها بسرعة مدهشة نحو سيارات الشرطة ، التى تسد الشارع ..

واتسعت عيون رجال الشرطة ، وهم يواصلون إطلاق رصاصاتهم ، وهتف أحدهم ذاهلاً :

ـ ما الذى يسعى إليه هذا المجنون ؟!.. الانتحار ؟!

لم يكن هناك فراغ كاف لمرور السيارة الرياضية ، بين سيارات الشرطة وجدار المنزل المجاور ، ولكن (أدهم) أمال السيارة بحركة حادة إلى اليسار ، ثم ضغط فراملها قليلاً ، وهو يدفعها ثانية ، وبحركة محدودة إلى اليمين ..

ومالت السيارة فى عنف ، وارتفع جانبها الأيمن كله ، وبدا لحظة وكأنها ستنقلب على ظهرها ، إلا أنها لم تفعل ، وإنما انطلقت على إطاريها الأيسرين فحسب ، بزاوية مدهشة ، عبر الفراغ المحدود ، ما بين سيارات الشرطة والجدار ..

ولثوان ، اتسعت عيون الجميع فى ذهول ، وتوقفوا عن إطلاق النار ، وهم يحدقون فى السيارة ، التى لم تكد تتجاوز دائرة الحصار ، بكل ما يحويه جسمها من

رصاصات ، حتى عادت تستقر على إطاراتها الأربعة ، وتعاود الانطلاق بتلك السرعة الكبيرة ..

وبداخل السيارة ، هتفت (جيهان) ، وهى تعتدل فى مجلسها :

ـ واو .. لابد وأن تعلمنى يومًا هذه الحركة البهلوانية المدهشة .. إنها تشبه تمامًا ما نراه فى أفلام السينما .

أجابها فى جدية ، وهو ينحرف بسرعة إلى طريق جانبى :

ـ من يفعلونها فى تلك الأفلام بشر مثلنا يا عزيزتى .

هتفت فى حماس :

ـ لا يوجد أحد مثلك .

ولم يكد الهتاف ينطلق من حلقها ، حتى شملها شىء من الخجل ، جعلها تستدرك فى خفوت :

ـ من ناحية المهارة .

رمقها بنظرة جانبية سريعة ، دون أن يعلق على عبارتها ، ثم عاد يلتفت إلى مرآة السيارة الجانبية ، مغمغمًا :

ـ لقد بدءوا مطاردتنا .

ألقت نظرة على مرآة السيارة اليمنى و رأت ثلاثًا من سيارات الشرطة تنطلق خلف سيارتهما ، فغمغمت ساخرة :

ـ عجبًا !.. يلوح لى أننا واجهنا مثل هذا الموقف من قبل .

ابتسم ساخرًا ، وهو يزيد من سرعة السيارة ، قائلاً :

ـ كم مرة تقصدين ؟!

ثم مال بالسيارة بغتة ، ووثب بها إلى شارع جانبى ضيق ، مستطردًا :

ـ أخبرينى .. هل استأجرت هذه السيارة باسمك ؟

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ أتظننى ساذجة إلى هذا الحد ؟!

ابتسم ، قائلاً :

ـ عظيم ، فهى لم تعد تناسبنا ، من طن الرصاصات الذى يحويه جسمها نصف المصفّح .

قالها ، وهو ينطلق عبر الشارع الضيق ، الذى لا يكاد يتسع للسيارة ، فى نفس الوقت الذى اندفعت فيه واحدة من سيارات الشرطة خلفه ، وواصلت الأخريان طريقهما بسرعة كبيرة ، فقالت (جيهان) فى قلق :

ـ لماذا تطاردنا سيارة واحدة ؟

التقى حاجباه ، وهو يتمتم :

ـ أخشى أن ...

قبل أن يتمّ عبارته ، اندفعت فجأة سيارة شرطة أخرى نحو الطريق الضيق ، من الناحية المقابلة ؛ لتقطع الطريق أمام سيارتهما ، فهتفت (جيهان) :

ـ رباه !.. ألا يمكننا القفز فوقها ؟

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يقول :

ـ لا توجد نقطة ارتكاز تصنع القفزة المنشودة .

كان هذا يعنى أنهما قد حوصرا تمامًا ، بين سيارات الشرطة ، فى شارع ضيق ، لا تطلّ عليه أية أبواب أو نوافذ قريبة ..

وليس له مخرج آخر ، بأى حال من الأحوال ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد هتف (أدهم) بـ (جيهان) :

ـ تشبثى جيدًا .

أطلق هتافه ، وانحرف بالسيارة بغتة ، فارتطمت مقدّمتها بالجدار الأيسر فى عنف ، وانزلقت مؤخرتها ، لتضرب الجدار الأيمن فى الوقت ذاته ، فصاحت هى فى حدة :

ـ والآن ماذا ؟

أجابها ، وهو يثب خارج السيارة :

ـ اتبعينى .



ثم وثب (أدهم) و (جيهان) على مقدّمة سيارة الشرطة ، ومنها إلى سقفها ، وقفزا ليتجاوزاها فى آن واحد ..

وبقفزة ماهرة ، عبر سيارتها ، التى صنعت حاجزًا أمام سيارة الشرطة ، التى تتبعهما منذ البداية ، وانطلق مع (جيهان) نحو السيارة الأخرى ، وهما يطلقان رصاصات مسدسيهما نحوها ..

وكانت مفاجأة حقيقية لرجلى الشرطة ، وخاصة عندما أطاحت رصاصات (أدهم) و (جيهان) بمسدسيهما ، وحطمت زجاج سيارتهما ، وأجبرتهما على خفض رأسيهما ..

ثم وثب (أدهم) و (جيهان) على مقدّمة سيارة الشرطة ، ومنها إلى سقفها ، وقفزا ليتجاوزاها فى آن واحد ، وينطلقا بأقصى سرعة ، عبر الشارع الآخر ، فى نفس الوقت الذى قفز فيه رجال الشرطة ، من السيارة الأولى ، وراحوا يطلقون رصاصاتهم ، التى غاص معظمها فى جسم السيارة الرياضية الحمراء ..

وتعالى صوت بوق سيارة الشرطة الثالثة ، وهى تنطلق محاولة اللحاق بـ (أدهم) و (جيهان) ، اللذين انحرفا إلى شارع جانبى ، واختفيا داخله ، قبل أن تشق سيارة الشرطة طريقها إليهما ، عبر المارة ، الذين أصابهم الذعر والاضطراب ، وراحوا يعدون فى كل اتجاه ..

وقفز رجال الشرطة من سيارتهم ، واندفعوا نحو ذلك الشارع الجانبى الصغير ، ولكنهم ما إن اقتحموه ، حتى اتسعت عيونهم فى دهشة ، وأطلت منها الحيرة ، وهم يديرونها فى المكان ، الذى بدا خاليًا تمامًا ، دون أثر لـ (أدهم) و (جيهان) ..

أدنى أثر ..

★ ★ ★

« لا أحد يدرى أين ذهبا !.. »

نطق رئيس الشرطة العبارة فى توتر بالغ ، وهو يتحرك فى عصبية ، داخل مكتب (يوشيدا) ، ولوّح بذراعه كلها ، مستطردًا فى انفعال :

ـ الشارع كان ينتهى بجدار ارتفاعه أربعة أمتار ، والبنايات على جانبيه بلا نوافذ ، إلى ارتفاع خمسة أمتار كاملة ، وعلى الرغم من هذا لم نجد لهما أدنى أثر فى الشارع ، أو فى أى من البنايات القديمة المطلّة عليه .

نفث (أوهارا) دخان سيجاره فى عمق ، قبل أن يقول فى ضيق :

ـ لقد عبرا الجدار فى نهاية الشارع .

التفت إليه (فوجى ياما) فى دهشة ، قائلاً :

ـ إنه يرتفع لأربعة أمتار كاملة .

هزّ المحامى رأسه ، وهو يقول فى شىء من الحنق :

ـ لن تمثل أية عقبة ، بالنسبة لمحترفين مثلهما .. الرجل يمكنه أن يبلغ هذا الارتفاع ، بواحدة من قفزاته المدهشة ، ثم يلتقط المرأة بعدها فى سهولة .

تطلّع إليه (فوجى ياما) بنظرة ارتياع ، قبل أن يقول :

ـ المهم أنهما نجحا فى الفرار ، على الرغم من كل ما فعلناه وفعله رجالك يا (يوشيدا) سان ، والموقف يتعقّد أكثر وأكثر ، وموقفى أصبح سيئًا للغاية .. الجميع يتهموننى بالتقصير والتهاون ، وبعضهم يشير إلىّ بأصابع الاتهام ، وأخشى ما أخشاه أن يصنعوا منى كبش فداء ؛ للتغطية على مذبحة السفارة .

قال (يوشيدا) فى برود :

ـ ولكنك المسئول الأوّل عن حدوثه بالفعل .

امتقع وجه رئيس الشرطة ، وهو يلتفت إليه ، قائلاً :

ـ لقد .. لقد فعلت كل هذا من أجلك يا (يوشيدا) سان .

التقى حاجبا (يوشيدا) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ بل فعلته من أجل نفسك يا (فوجى ياما) .

ارتدّ رئيس الشرطة فى عنف ، كمن أصابته صاعقة ، وهو يقول :

ـ من أجل نفسى ؟!

أجابه (يوشيدا) فى شراسة مخيفة :

ـ نعم يا رجل .. فعلته من أجل آلاف الينات(*) ، التى تتقاضاها منى شهريًا .. هل يمكنك أن تنكر هذا ؟!

ازداد امتقاع وجه رئيس الشرطة ، وهو يتمتم فى خفوت :

ـ ولكننى أصبحت فى موقف لا أحسد عليه يا (يوشيدا) سان .

صاح (يوشيدا) فى وجهه :

ـ إنها مشكلتك أنت .

كاد رئيس الشرطة يسقط فاقد الوعى ، من فرط الذعر والانزعاج ، ولكنه بذل قصارى جهده ليتماسك ، وهو يومئ برأسه ، متمتمًا :

ـ بالطبع يا (يوشيدا) سان .. بالطبع .

خيّل للمحامى أن (فوجى ياما) قد قفز به العمر عشر سنوات على الأقل ، مع ارتجافة ركبتيه ، وانحناءة كتفيه ، وهو يتجه نحو الباب ، وكأنما يحمل

(*) العملة المستخدمة فى (اليابان) هى (الين) .

على كاهله حملاً ثقيلاً ، وعلى الرغم من مظهره المثير للشفقة ، استوقفه (يوشيدا) فى صرامة ، قائلاً :

ـ (فوجى ياما) .. تبعًا للظروف الحالية ، من الأفضل ألا تأتى إلى هنا .. ستصلك النقود بانتظام ، ولكن ليس من الداعى أن يتنبه أحد إلى وجود أية علاقة بيننا .. هل تفهم ؟

بدا رئيس الشرطة وكأنه سينفجر باكيًا ، وهو يتمتم فى خفوت :

ـ كما تأمر يا (يوشيدا) سان .. كما تأمر .

راقبه (أوهارا) فى صمت ، حتى غادر المكتب ، ثم التفت إلى (يوشيدا) ، متمتمًا :

ـ لقد قسوت عليه كثيرًا يا (يوشيدا) سان .

أجابه (يوشيدا) فى غضب :

ـ إنه فاشل .. لا يمكنه تنفيذ مهمة بسيطة .

التقط المحامى نفسًا عميقًا من سيجاره ، قبل أن يتمتم :

ـ (ميتسو) ورجاله فشلوا أيضًا .

لوّح (يوشيدا) بذراعه فى حدة ، قائلاً :

ـ الجميع حمقى أغبياء .. كيف يعجزون عن التصدى لرجل وامرأة ؟

نفث (أوهارا) دخان سيجاره ، ثم نهض يسحق طرفه فى المنضدة ، قائلاً فى حزم :

- ليسوا حمقى أو أغبياء يا (يوشيدا) سان ، ولكنهم يواجهون قوة لا قبل لهم بها .

صاح (يوشيدا) فى استنكار :

- قوة لا قبل لهم بها ؟!.. أتطلق على رجل وامرأة لقب (قوة لا يستهان بها) ؟!

مط (أوهارا) شفتيه ، قائلاً :

- لست أعلم شيئاً عن المرأة ، ولكن ملف الرجل ضخم للغاية يا (يوشيدا) سان ، ويحفل بقصص أولئك الذين استخفوا به ، وهونوا من شأنه ، ثم كانت هزيمتهم الساحقة على يديه .

احتقن وجه (يوشيدا) ، وأطل الغضب من عينيه ، وهو يقول :

- ما الذى تعنيه بقولك هذا يا رجل ؟!

أجابه المحامى فى سرعة :

- أعنى أننا قد اختبرنا الأساليب التقليدية يا (يوشيدا) سان ، ولم نصل إلى شىء ، فلم لا نحسم أمرنا ، ونعلن لـ (ناتا سون) موافقتنا على مطالبه ، ونطلقه مع مقاتليه خلف خصمينا ؟!

التقى حاجبا (يوشيدا) فى قوة ، قائلاً :

- أتعلم كم سيكلفنا هذا ؟!

ابتسم المحامى ، وهو يقول :

- أقل بكثير مما سنخسره ، لو سعى ذلك الرجل للانتقام منك .

بدا (يوشيدا) وكأن نيران الغضب تشتعل فى أعماقه ، وهو يعقد حاجبيه فى شدة ، وكل خلجة من خلجاته تشف عن الانغماس فى تفكير عميق ، فتطلع إليه المحامى فى اهتمام بالغ ، ولما طال صمته ، غمغم :

- صدقنى يا (يوشيدا) سان .. لو اشتعلت حرب حقيقية ، بيننا وبين ذلك الرجل ، فسيجشمنا هذا ملايين لا حصر لها ، مثلما حدث فى صراعه مع (المافيا)(*)

ثم التقط سماعة الهاتف الخاص بـ (يوشيدا) ، وناولها إياه ، مضيفاً فى حزم :

- اتخذ قرارك بسرعة يا (يوشيدا) سان .. الوقت

(*) راجع قصة (شيطان المافيا) .. المغامرة رقم (٤٨) .

ليس فى صالحنا ، والرقم الذى أبلغنا به (ناتاسون) لن يستقبل المكالمات طوال الوقت .

صمت (يوشيدا) لحظة أخرى ، ثم حسم أمره ، والتقط سماعة الهاتف ، وضربت أصابعه الأزرار بذلك الرقم ، الذى ينتظر فيه (ناتاسون) القرار ..

وهكذا بدأت المعركة ..

المعركة الحقيقية ..

* * *



٦ - ناتاسون ..

دقت ساعة الحائط ، فى ذلك المنزل الآمن ، فى قلب العاصمة اليابانية ، تعلن تمام السابعة والنصف صباحًا ، فى اللحظة نفسها التى انطلق فيها رنين جرس الباب ، مرتين متتاليتين ، فهبّت (جيهان) من مقعدها ، واستلّت مسدسها الصغير من حزامها ، وأسرعت إلى الباب ، قائلة بالفرنسية :

- من الطارق ؟!

أتاها صوت هادئ ، يقول بالعربية :

- هل تتحدثين الألمانية ؟!

أجابته بالإنجليزية :

- بالتأكيد ، ولكننى أفضل التركية .

قال صاحب الصوت ، بلهجة تحمل الكثير من الارتياح ، وبلغة ألمانية سليمة :

- فليكن .. دعينا نتحدث الإيطالية .

اطمأنت مع العبارة إلى أن القادم ينتمى إلى المخابرات المصرية ، فأسرعت تفتح له الباب قائلة :

- ادخل .

دلف رجل وقور إلى المنزل فى خفة ، وأغلق الباب خلفه بسرعة ، وهو يسألها :

- أين سيادة العميد (أدهم) ؟

أشارت إلى الداخل ، مغمغمة :

- غارق فى نوم عميق .

ارتفع حاجبا الرجل فى دهشة ، وهو يقول :

- حتى هذه اللحظة ؟!.. لقد عهدته مبكرًا !

تنهدت ، قائلة :

- لقد بذل جهدًا خرافيًا ، طوال اليومين السابقين ، ولم يذق خلالهما النوم لحظة واحدة ، على الرغم من أن إصاباته من المهمة السابقة لم تشف بعد .

هز الرجل رأسه ، وهو يقول :

- مدهش بحق هذا الرجل .. لست أدرى كيف يحصل على كل هذه الطاقة ، فى عمره هذا ؟!

فوجئا بصوت (أدهم) يقول فى شىء من الحزم :

- عن أى عمر تتحدث يا رجل ؟!.. أنا لم أتجاوز الأربعين بعد .

التفت إليه كلاهما فى سرعة ، وعلى الرغم من قامته المشدودة ، وتلك الابتسامة التى رسمها على

شفتيه ، فقد بدا لهما شاحبًا مجهدًا ، على نحو جعل الرجل يتمتم فى شىء من التعاطف :

- أطال الله عمرك يا سيادة العميد .

ابتسم (أدهم) ، وهو يجلس على أقرب مقعد إليه ، قائلاً :

- أظن أن هذا هو المستحيل بعينه ، فى مهنة كهذه .

أرادت (جيهان) أن تقول شيئًا ، إلا أن لسانها عجز عن النطق لثوان ، حتى إنها بذلت جهدًا حقيقيًا ، لتقول بصوت متحشرج مختنق :

- سأعد بعض الشاى .

وأسرعت تختفى فى المطبخ ، قبل أن تغلبها مشاعرها ، فى حين تطلع (أدهم) إلى الرجل ، قائلاً :

- (جيهان) أخبرتنى أنك ستأتى من أجلى .

أومأ الرجل برأسه ، وقال :

- نعم .. لقد التقيت بها أمس ، فى مبنى القنصلية ، وأخبرتها أننا نبحث عنك ، فوعدتنى بالاتصال بى ، فور عثورها عليك .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- من حسن حظى أنها نجحت فى العثور علىّ ، فى الوقت المناسب .

ضحك الرجل ، وهو يقول :

ـ ما فعلته فى الحى القديم أمس ، جعل من العسير ألا نعثر عليك يا سيادة العميد .

واصل (أدهم) ابتسامته لحظات ، ثم لم يلبث أن مال إلى الأمام ، وهو يسأل الرجل فى جدية :

ـ السؤال الحقيقى هو لماذا تبحثون عنى ؟!

اعتدل الرجل ، مجيبًا فى سرعة :

ـ (القاهرة) اتصلت بنا ، وطلبت منا تقديم كل المساعدات الممكنة لك ؛ لمعاونتك على النجاح فى مهمتك هنا .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول فى بطء :

ـ آه .. إذن فقد عرفوا كل شىء .

ثم رفع عينيه إلى الرجل ، مستطردًا :

ـ ويوافقون .

لم يفهم الرجل ما يقصده (أدهم) بالضبط ، ولكنه أخرج عدة أشياء من جيبه ، قائلًا :

ـ بالتأكيد ، وإلا ما شددوا على ضرورة منحك كل هذا .

ثم ناوله تلك الأشياء ، قائلًا :

ـ هذا جواز سفر ديبلوماسى أحمر ، باسمك الحقيقى (أدهم صبرى) ، والمهنة مندوب جوال لوزارة الخارجية المصرية ، وهذا مسدس (بيريتا) ، مع عشر خزانات إضافية ، وهذه بعض الكيماويات والإليكترونيات ، التى قد تحتاج إليها هنا .

ودفع حقيبته نحو (أدهم) ، مستطردًا :

ـ أما هذه الحقيبة ، فقد قطعت رحلة طويلة ، استغرقت الليل كله ، حتى تصل إلى هنا ، مع صورتك ، عبر (أوروبا) وجنوب شرق (آسيا) ، ولقد تسلمتها منذ لحظات ، وهرعت بها إلى هنا مباشرة .

التقط (أدهم) الحقيبة ، وفتحها ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة كبيرة ، وهو يتطلع إلى طاقم كامل حديث ، من أدوات وخامات التنكر ، والرجل يتابع :

ـ من حسن الحظ أنهم أرسلوها كحقيبة ديبلوماسية ، وإلا لأثارت محتوياتها حيرة وقلق ضباط الجمارك(*) .

تمتم (أدهم) فى لهجة تشف عن ارتياح حقيقى :

(*) طبقًا للقوانين الدولية والقواعد الدبلوماسية بين الدول ، لا يحق لأية دولة تفتيش الحقائب الدبلوماسية ، الواردة لسفارة دولة أخرى ، إلا بموجب إذن رسمى من وزارة الخارجية ، وبحضور أحد مندوبيها .

- بالتأكيد .

نهض الرجل ، وهو يقول :

- عظيم .. أعتقد أننى بهذا أكون قد أديت عملى على أكمل وجه .

ثم مدّ يده يصافح (أدهم) مستطردًا :

- سيادة العميد .. من الطبيعى ألا أسألك رسميًا عن طبيعة مهمتك هنا ، ولكننى بناء على الأوامر الرسمية ، واستنادًا إلى احترامى وتقديرى الشديدين ، أعرض عليك خدماتى ، فى أى وقت تشاء ، وعلى أى نحو تراه .

ابتسم (أدهم) مغمغمًا :

- أشكرك .

ولم يكد الرجل ينصرف ، حتى ظهرت (جيهان) ، وهى تحمل أكواب الشاى ، قائلة :

- ألن يتناول معنا بعض الشاى ؟

التقط (أدهم) كوبه ، وارتشف رشفة منه فى ارتياح ، قائلاً :

- كلا فيما يبدو .

تطلعت إليه (جيهان) فى صمت بضع لحظات ، وقلبها يكاد يرقص من فرط سعادتها لوجودها إلى

جواره ، ولكنه لم يكد يرفع عينيه إليها ، حتى انسكب فوقها نهر من الخجل ، دفعها إلى أن تقول فى سرعة :

- كيف حالك بعد نشاط الأمس ؟

أجاب بابتسامة هادئة :

- أفضل .

سألته فى اهتمام :

- من الواضح أنك قد بدأت حربك ضد (يوشيدا) ورجاله .. أليس كذلك ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وارتشف رشفة أخرى من الشاى ، مجيبًا :

- كلاّ .. كل ما فعلته حتى هذه اللحظة هو إثارة الخصم ، واختبار قدراته وردود أفعاله .. لقد ذهبت مباشرة إلى شركة (يوشيدا) ، دون تنكّر أو تخفّ ، وأنا أعلم أنه سيراقبنى ، وأن أحد معاونيه سيعرفنى حتمًا ، ويربط بينى وبين تحطيم منظمة (اللؤلؤ الأسود) وزعيمها (ماناسا هيرو) فى الماضى ، وبعدها تعمّدت استفزازه بإهانة حارسه الخاص ، وإرسال رسالة ساخرة إليه شخصيًا ، وكان من الطبيعى أن يدفعه هذا إلى البحث عنى ، ومحاولة القضاء علىّ ، كاشفًا بهذا طبيعته وقوته .

قالت ، وهى تتخذ المقعد المجاور له :

ـ إذن فقد تعرّفت خصمك الآن .

مطّ شفتيه بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ الأمر الوحيد الذى تيقنت منه ، بعد هذه المواجهة ، هو أن رجال (يوشيدا) ليسوا من صنعوا مذبحة سفارتنا .

هتفت فى دهشة حقيقية :

ـ حقًا ؟!

أجابها فى جدية ، وهو يميل نحوها ، ويدير كوب الشاى براحتيه :

ـ بالتأكيد ؛ فالرجال الذين واجهتهم أمس مجرّد مقاتلى شوارع ، من النوع الشرس العنيف ، الذى يتصرّف بهمجية وبدائية ، ولم يتلقَ أية تدريبات قتالية أو تكنيكية منظمة .

وعاد يتراجع فى مقعده ، ويعقد حاجبيه فى صرامة ، مستطردًا :

ـ على عكس الذين قاموا بالمذبحة ؛ فهم مدرّبون ، منظمون ، يمتلكون قدرات قتالية مدهشة ، والزى الذى يرتدونه يشبه زى (النينجا) ، كما تصوّرها العقل الغربى ، فى أفلامه السينمائية .

رددت فى دهشة :

ـ (النينجا) ؟!.. أتعتقد فعلاً فى وجود مقاتلى (النينجا) فى العصر الحالى ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ إنهم موجودون بالفعل ، ولكن ليس على الصورة نفسها ، التى كانوا عليها فى الماضى ، منذ ما يقرب من ثمانمائة عام ، عندما نشئوا كفئة مقاومة للساموراى ، وتحوّلوا إلى فئة من المجرمين ، يمارسون السرقة والنهب والاغتيالات بأنواعها .. ففى بداية السبعينيات ، جذب تاريخ (النينجا) اثنين من المغامرين ، أحدهما إسرائيلى يُدعى (دورون نافون) ، والآخر أمريكى ، وهو (ستيفن هايز) ، فعملا على مزج بعض الرياضات القتالية المعروفة ، مثل (الجودو) و (الكاراتيه) ، و (التايكوندو) و (الكنج فو) ، وأضافا إليها بعض استخدامات الأسلحة البدائية ، المعروفة فى تاريخ (اليابان) ، وأنشآ مدرسة لتعليم ما أطلقا عليه اسم (النينجيتسو) ، وابتكرا زيًا يناسب الاسم الجديد ، ويتميّز بالسواد ، الذى يضفى على مقاتل (النينجا) مظهرًا مخيفًا ، لم يتمتع به (النينجا) الحقيقى ، فى (اليابان) القديمة(*) .

(*) حقيقة .

امتزجت دهشتها بابتسامة مرتبكة ، وهى تتمتم :

ـ من الواضح أنك تعلم الكثير عن الأمر .

صمت لحظة ، قبل أن يجيب فى بطء :

ـ لقد تلقيت بعض تدريبات (النينجيتسو) فى شبابى ، على يد مدرب يابانى هنا ، يعرف باسم دكتور (ماساكى هاتسومى) ، وهو حجة فى هذا المجال(*) .

ارتفع حاجباها بدهشة عارمة هذه المرة ، وهتفت فى انبهار :

ـ أيوجد شىء فى الدنيا تجهله ؟

رمقها بنظرة صامتة ، وارتشف رشفة كبيرة من الشاى فى هدوء ، ثم قال :

ـ أعتقد أن حادث الأمس قد استفز (فاكو يوشيدا) بما يكفى ، لكى يطلق خلفنا مقاتلى (النينجا) هؤلاء .

حدقت فى وجهه لحظة ، قبل أن تقول :

ـ وهل كنت تسعى لإطلاق هؤلاء الوحوش خلفنا ؟!

صمت لحظة أخرى ، ارتشف خلالها كل ما تبقى فى كوبه ، ثم أعاده إلى المائدة ، وهو يجيب :

(*) الشخصية من عالم الواقع ، ويعرف مقاتلوه باسم (البوجينكان دوجو) .

(Bujinkdn dojo group)

ـ وهل لديك وسيلة أخرى للثأر ؟!

نطقها فى حزم صارم ، يوحى بأن القتال هذه المرة سيكون عنيفا ..

للغاية ..

★ ★ ★

ران صمت تام على تلك القاعة الواسعة ، فى الطابق العشرين ، من مبنى شركة الإليكترونيات الدقيقة ، الذى يمتلكه (يوشيدا) ، وتطلع أربعة وعشرون من مقاتلى (النينجا) فى احترام إلى زعيمهم (ناتاسون) ، الذى جلس فى مواجهتهم أرضا ، على نفس النحو الذى يجلسون به ، وأدار عينيه فى وجوههم طويلاً ، قبل أن يقول بصوته الصارم القوى :

ـ خصمكم هذه المرة رجل واحد يا رجال .

سرت همهمة استنكار بين صفوفهم ، بترتها نظرته الصارمة ، قبل أن يتابع :

ـ ولكنه ليس بالخصم العادى ، فملفه يؤكد أنه نجح من قبل فى هزيمة منظمات قوية ، وأجهزة مخابرات يثير مجرد ذكر اسمها الرجفة فى العروق والأوصال ، ثم إنه ينتمى إلى المخابرات المصرية ، ولقد علمتكم كيف أن هؤلاء الرجال كالأسود .. إنهم يفتقرون إلى

الاعتمادات المالية الضخمة ، التى يتمتع بها رجال المخابرات الأمريكية ، أو الروسية ، أو الإسرائيلية ، لذا فهم يستعيضون عن نقص الموارد بكفاءة الرجال وحسن تدريبهم ، مما جعلهم أقوى رجال مخابرات ، باعتراف الجميع .. وهذا يعنى أن المواجهة معهم لاتكون أبدًا سهلة أو هيّنة .

غمغم أحدهم :

ـ لقد قضينا على بعضهم بالفعل ، فى حادث السفارة .

أجابه (ناتاسون) فى صرامة :

ـ وسنقضى على هذا أيضًا .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ ولكن ليس بسهولة .

وأشار بيده إلى المسئول عن عرض الشرائح الملوّنة ، وهو يتابع :

ـ إنه ليس قويًا كالأسود ، ورشيقًا كالفهود ، وعنيدًا كالأفيال فحسب ، ولكنه يمتلك أيضًا ذكاء الثعالب ودهاء الذئاب .

بدأ عرض الشرائح الملوّنة بصورة للفندق ، الذى دارت فيه المعركة الأخيرة ، و (ناتاسون) يتابع :

ـ لقد جذب رجال (يوشيدا) إلى فخ محكم أمس ،

واستأجر حجرتين متجاورتين بالفندق نفسه ، إحداهما باسم مستعار وهو (قدرى) ، والثانى بالاسم الذى جذبهم به ، وهو (سام واتكنز) .. ولقد تعاملوا معه بأسلوب تقليدى ساذج ، سمح له بأن يذيقهم مر الهزيمة .. على الرغم من عددهم ، الذى بلغ ثلاثين مقاتلا .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ ولكن أسلوبنا نحن سيختلف .

بدا الزهو على وجهه ، وأطلّ من عينيه ، اللتين أدارهما فى وجوه مقاتليه ، وهو يقول فى قوة :

ـ أليس كذلك ؟

انطلقت صيحة هادرة من أفواههم :

ـ بلى أيها الزعيم .

برقت عيناه فى شدة وفخر ، وهو يتطلّع إلى مقاتليه الأفذاذ ، قبل أن يقول :

ـ من الواضح أن الرجل هنا للثأر ، وأنه لن يهدأ له بال حتى ينتقم من المسئول عن مذبحة سفارته ، وهو يدرك على الأرجح أنه يواجه قوة هائلة ، ومن المؤكد أنه استعدّ للمواجهة ، ولأنه خبير فى مجاله ، ومقاتل محترف منذ زمن طويل ، ورجل مخابرات قديم ، فمما

لا شك فيه أنه سيلجأ إلى أسلوب المبادرة فى الهجوم ، ليضمن لنفسه عامل المفاجأة ، الذى يمنحه نقطة تفوّق ، فى صراعه ضد قوة تفوقه كثيرًا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ ومهمتنا الأولى هى أن نفسد خطته هذه .

قالها ، فران صمت رهيب على المكان ، وعيون مقاتليه المتشحين بالسواد تتطلّع إليه مترقّبة ، وهو يشير إلى عارض الشرائح الملوّنة ، فظهرت على الشاشة صورة التعديلات الجديدة ، وتابع (ناتاسون) :

ـ عندما تحصلون على ما وفّره لكم عميلنا الجديد ، سيصبح زيكم كله مضادًا للرصاصات ، وسيمكنكم الرؤية فى الظلام ، وسماع دبيب النمل .. باختصار ، ستصبحون كتيبة من أقوى مقاتلى العالم ، وسيكون فى استطاعة الواحد منكم هزيمة عشرة رجال أقوياء مسلحين .

والتقط نفسًا عميقًا بصوت مسموع ، ثم استطرد :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فسنبدأ المواجهة مع خصمنا بأربعة منكم ..

سرت همهمة أخرى بينهم ، فصاح غاضبًا :

ـ الصمت .

قبل حتى أن تكتمل صيحته ، هبط على القاعة صمت تام ، فتابع فى صرامة :

ـ مقاتل (النينجا) يطيع حتمًا أوامر أستاذه ، دون اعتراض أو مناقشة .. إياكم ونسيان هذا .

انتهى من عبارته ، وأدار عينيه فى وجوههم بصرامة أكثر ، وسط صمت مهيب ، قطعه بنفسه وهو يقول :

ـ أنتم تتصوّرون أن مقاتلاً واحدًا منكم يكفى ، أما أنا فمازلت أختبر الخصم .. سيواجهه الأربعة الذين أختارهم ، طبقًا لخطة محكمة ، بحيث تكون المفاجأة من نصيبه هو .. وسنرى ما سيسفر عنه الأمر .

تمتم أحدهم :

ـ سيسحقونه سحقًا بلا شك .

أجابه (ناتاسون) فى حزم :

ـ فى هذه الحالة تكون المهمة قد أنجزت ، بأقل خسائر ممكنة ..

تبادل المقاتلون نظرة سريعة ، دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة ، أو يقدم على الاعتراض ، فتابع (ناتاسون) :

ـ ومن الطبيعى أن نختار الليل للهجوم ، فهو يناسب زينا الأسود ، ويمنحنا نقطة تفوّق ، من حيث قدرتنا

على الرؤية فى الظلام ، وحاسة سمعنا المرهفة ، ومهارتنا فى العمل بسرعة ، وفى النيل من خصومنا قبل أن ينتبهوا حتى إلى وجودنا ، و ...

« (ناتاسون) سان .. هل يمكننى مقابلتك فى مكتبى فورًا ؟!... »

قاطعته العبارة ، التى انطلقت من جهاز اتصال صغير إلى جواره ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وتطلّع إلى مقاتليه الصامتين ، قبل أن يقول :

ـ سأحضر على الفور .

ثم نهض ، قائلاً للرجال فى صرامة :

ـ لا يتحرك أحدكم حتى أعود .

تجمّد الجميع فى أماكنهم ، كما لو أنهم قد تحوّلوا إلى تماثيل من الرخام ، لا تطرف حتى عيونهم ، فى حين اتجه هو إلى المصعد خارج القاعة ، واستقلّه إلى الطابق الثلاثين ، حيث مكتب (يوشيدا) ، ولم يكد يدلف إلى حجرة مكتب هذا الأخير ، حتى نقل نظراته الغاضبة بين وجهه ووجه المحاسى ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ (يوشيدا) سان .. هل تعلم أنك قد قاطعتنى ، فى أثناء الـ ...

قاطعه (يوشيدا) فى حدة ، قائلاً :

ـ خطتك لا تروق لى يا (ناتاسون) سان .

انعقد حاجبا (ناتاسون) فى شدة ، وهو يحدّق فى وجه (يوشيدا) ، الذى أكمل فى عصبية :

ـ ليس من الحكمة أن تقامر بإرسال أربعة فقط من مقاتليك ، لمواجهة رجل هزم ثلاثين من رجالى .

احتقن وجه (ناتاسون) ، وهو يقول فى حدة :

ـ هل تتجسّسون على لقائى برجالى ؟!

تنحنح (أوهارا) فى شىء من الحرج ، وقال :

ـ (ناتاسون) سان .. صحيح أننا أخلينا الطابق العشرين كله لك ولمقاتليك ، ولكن نظام الأمن هنا متكامل ، ولا يمكن فصل أحد أجزائه عن الآخرى ، وهذا يجعل من الطبيعى أن ..

حان دور (ناتاسون) ليقاطع الحديث هذه المرة ، وهو يضرب سطح مكتب (يوشيدا) بقبضته فى قوة ، صائحًا :

ـ لن أسمح بهذا أبدًا .

انتفض (يوشيدا) فى عنف ، وقفز من مقعده بحركة حادة ، عندما تهشّم زجاج المكتب بدوى عنيف ،



حانَ دور (ناتاسون) ليقاطع الحديث هذه المرة ، وهو يضرب سطح مكتب (يوشيدا) بقبضته فى قوة ..

وانشرخ سطحه بقرقعة مخيفة ، إثر ضربة (ناتاسون) ، فشهق المحامى ، هاتفًا :

ـ يا للشيطان !

أما (يوشيدا) ، فلوّح بيده فى قوة ، هاتفًا :

ـ أنت سمعت ما قاله (أوهارا) .. لم نكن نقصد التجسُّس عليك .

قال (ناتاسون) في غضب :

ـ لا أحد يملك حق الاطلاع على اجتماعات مقاتلى (النينجا) ..

قانوننا يحتِّم قتل كل من يطلع على أسرارنا ، دون موافقتنا .

شحب وجه (يوشيدا) ، وهو يتمتم :

ـ قلت لك : إننا لم نقصد هذا .

ثم التقط سمّاعة هاتفه ، واتصل برئيس طاقم الأمن ، قائلا :

ـ اسمعنى جيدًا يا رجل .. افصل آلات المراقبة من الطابق العشرين تمامًا ، حتى إشعار آخر .. هل تفهم .

تمتم الرجل فى شىء من الحيرة :

ـ كما تأمر يا (يوشيدا) سان .. كما تأمر .

أعاد (يوشيدا) سمّاعة الهاتف إلى موضعها ، وهو يقول فى توتر :

ـ هأنتم أولاء قد حصلتم على الخصوصية التي تنشدونها يا (ناتاسون) سان .

تنحنح المحامي مرة أخرى ، وداعب رباط عنقه ، قائلا :

ـ والآن دعنا نعد إلى قضية المقاتلين الأربعة .

التفت إليه (ناتاسون) في حدة ، قائلا :

ـ إنه مجرد اختبار للخصم ، ولو نجح المقاتلون الأربعة في التخلص منه ، نكون قد أنجزنا المهمة بأقل خسائر ممكنة .

أجابه المحامي :

ـ ولو فشلوا تكون قد أنبأته بطبيعة خصومه ، واستعداداتهم ، ومنحته فرصة نادرة للإعداد للمواجهة التالية .

لم يكن هذا الاحتمال قد جال بخاطر (ناتاسون) أبدا ، لذا فقد انعقد حاجباه في شدة ، وهو يدرسه جيدا ، قبل أن يقول في شيء من العناد :

ـ أظن أربعة يكفون .

قال (أوهارا) في عصبية :

ـ الرجل أقوى وأبرع مما تتصور بكثير يا (ناتاسون) ، وأخشى أن تكتشف هذا بعد فوات الأوان .

وأضاف (يوشيدا) ، في شيء من الحدة :

ـ ثم إنني لن أمنحكم التعديلات المطلوبة ، إلا بمقدار الرجال الذين سيضربون الضربة الأولى .

التفت إليه (ناتاسون) في حدة ، قائلا :

ـ ماذا تعني ؟!

تراجع هاتفا :

ـ في المرحلة الأولى فحسب .. هذا ما أعنيه .

انعقد حاجبا (ناتاسون) في شدة ، وعاد يدير الأمر في رأسه ثانية ، قبل أن يرفع عينيه إلى (أوهارا) ، قائلا :

ـ كم تقترح ؟

زفر (يوشيدا) في ارتياح ، في حين هز (أوهارا) كتفيه ، والتقط سيجارا بأصابع مرتجفة ، وهو يقول :

ـ عشرة مقاتلين .

ازداد انعقاد حاجبي (ناتاسون) ، واستغرق في التفكير لدقيقة كاملة ، قبل أن يقول في حزم واقتضاب :

ـ فليكن .

تنفس الرجلان الصعداء ، وعاد (يوشيدا) يجلس خلف مكتبه ، وهو يقول في ارتياح :

ـ ينبغى أن نتصل بقسم الصيانة ؛ لإصلاح هذا المكتب .

أما المحامى ، فأشعل سيجاره بنفس الأصابع المرتجفة ، ثم أعاد القداحة الماسية إلى موضعها ، قائلاً :

ـ عظيم يا (ناتاسون) .. متى يمكنكم البدء ؟

أجابه (ناتاسون) فى حزم :

ـ فور تحديد موضع الرجل .

نفث (أوهارا) دخان سيجاره ، وهو يلوّح بسبّابته ، قائلاً :

ـ لدى خطة فى هذا الشأن .

عقد (ناتاسون) ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

ـ دعنا نستمع إليها .

التقط المحامى نفسًا عميقًا من سيجاره ، ونفثه فى قوة ، وهو يسير فى المكتب ، قائلاً :

ـ كلنا نعلم أن (أدهم صبرى) هذا قد جاء إلى هنا بغرض الثأر ، وهذا يعنى أن المصريين يقيمون وزنًا كبيرًا للمشاعر الإنسانية ، وأنهم يجازفون بحياتهم أحيانًا ، للانتقام من أجل أشخاص فقدوا حياتهم بالفعل .

ثم ابتسم ، مستطردًا فى سخرية :

ـ ألا تبدو لك هذه حماقة منقطعة النظير ؟

لم يجب (ناتاسون) سؤاله ، أو يعلّق حتى على عبارته ، وهو يتطلّع إليه فى صرامة ، ومازال ساعداه معقودين أمام صدره القوى ، فتنحنح (أوهارا) ، وتابع :

ـ لو أننا إذن سببنا بعض المشكلات للقنصلية المصرية ، أو الـ ...

« يا للشيطان !.. »

قاطعته تلك الصيحة ، التى تفجّرت من حلق (يوشيدا) ، وهو يحدّق فى شاشة المراقبة ، فأسرع إليه مع (ناتاسون) ، وانتقلت دهشته إليهما ، حتى إن (ناتاسون) غمغم فى شىء من العصبية :

ـ يا للجرأة !

فأمامهم على الشاشة ، ظهر (أدهم صبرى) ، وهو يدلف إلى مبنى شركة (يوشيدا) ..

وبمنتهى الجرأة .

* * *



٧ - وجهًا لوجه ..

نهض وزير الخارجية اليابانى ؛ ليستقبل وزير الداخلية فى مكتبه ، وانحنى أمامه فى احترام بالغ ، كعادة اليابانيين ، وهو يقول :

- مرحبًا بك فى مكتبى يا وزير الداخلية سان .. أرجو ألا تكون قد شعرت بشىء من الضيق ؛ لأننى طلبت مقابلتك فى مكتبى .

أجابه وزير الداخلية بانحناءة مشابهة ، وهو يقول :

- مطلقا يا وزير الخارجية سان .. كل ما فى الأمر أننى أشعر بحيرة حقيقية ، وأنا أفكر فى ذلك الأمر العاجل ، الذى لا يمكننا مناقشته عبر الهاتف ، ولا يمكننا الانتظار حتى موعد اجتماع مجلس الوزراء ، فى القريب العاجل .

دعاه وزير الخارجية إلى الجلوس ، وهو يقول :

- الواقع أنه أمر يتعلق بالأحداث العنيفة ، التى يشهدها وطننا ، فى الأيام الأخيرة ، والتى تبدو عجيبة ، بالنسبة لمجتمعنا المثالى ، الذى لا يعانى الجرائم إلا فيما ندر .

مط وزير الداخلية شفتيه ، وقال :

- يمكنك القول إن معدلات الجريمة لدينا تقل عن مثيلاتها ، فى الدول الصناعية الأخرى(*) ، ولكنها ليست نادرة .. وهذا لا ينفى أن ما حدث فى السفارة المصرية ، وفى الحى القديم ، ليس بالأمر المألوف أبدًا .

وافقه وزير الخارجية بتنهيدة عميقة ، وبهزة رأس بطيئة ، قبل أن يسأله فى شىء من الحذر :

- ومن فى رأيك وراء كل هذا ؟!

انعقد حاجبا وزير الداخلية ، ولاذ بالصمت بضع لحظات ، قبل أن يجيب بنفس القدر من الحذر :

- كان من المفترض أن تأتينا تحريات المفتش (ياماموتو) عن هذا السؤال ، إلا أنه اختفى تمامًا ، وفشلت كل جهودنا فى العثور عليه .

مال وزير الخارجية نحوه ، يسأله فى اهتمام :

- وهل تعتقد أنه لحق بالآخر ؟

سأله وزير الداخلية بحذر أكثر :

- أى آخر ؟

(*) حقيقة .

أجاب وزير الخارجية بصوت عميق :
- (موكينا) .
ازداد انعقاد حاجبي وزير الداخلية في شدة ، وتطلع إليه طويلاً في صمت ، قبل أن يسأل في حزم :
- ما الذي ترمي إليه بالضبط ؟!
أجابه وزير الخارجية بسرعة ، وكأنه ينتظر هذا السؤال ويتوقعه :
- (فاكو يوشيدا) .
اتسعت عينا وزير الداخلية في شيء من الارتياع ، وهو يحدق في وجه وزير الخارجية ، قبل أن ينهض من مقعده ، ويعقد كفيه خلف ظهره ، ويتحرك في الحجرة بضع لحظات ، ثم يلتفت إلى زميله ، قائلاً :
- أنت تعرف اتصالات (فاكو يوشيدا) وقوتها ، ولا يمكننا أن نوجه إليه أية اتهامات ، أو نعرضه حتى لبعض المضايقات ، دون أدلة قوية مؤكدة ، وإلا لانقلبت الأمور على رءوسنا .
قال وزير الخارجية في توتر :
- ولكنها تنقلب على رءوسنا بالفعل ، بسبب حماقاته في الآونة الأخيرة .
غمغم وزير الداخلية :

- لا توجد أدلة على هذا .
تابع وزير الخارجية ، وكأنه لم يسمعه :
- هل تظن أن حادث السفارة المصرية سيمرّ بسلام ؟! لن يدهشني أن يتسبب في قطع العلاقات بين البلدين ، ولو واصل (يوشيدا) سخافاته المتبجحة هذه ، فستنهار حكومتنا حتمًا .
كرر وزير الداخلية في عصبية :
- ليست لدينا أية أدلة .
رمقه وزير الخارجية بنظرة غاضبة ، وقال :
- ولدينا هنا آراء قوية ، تؤكد أن رئيس الشرطة نفسه يعمل لحسابه .
غمغم وزير الداخلية :
- في غياب الأدلة لا يمكننا أن ...
قاطعه وزير الخارجية في صرامة :
- وبعض أصابع الاتهام تشير إليك .
انتفض وزير الداخلية في عنف ، وهو يهتف مذعورًا :
- إليّ أنا ؟!
لم يكن الاتهام الأخير صحيحًا ، ولم يحدث قط أن تردد على ألسنة البعض ، أو تطرق إليه الشك لحظة واحدة .

ولكنها كانت ضربة موفقة من وزير الخارجية ..

ضربة جعلت مشاعر وزير الداخلية نحو (يوشيدا) ، تتحول بغتة إلى العدوانية والحدة ، وهو يقول :

ـ إننى مستعد للانتحار بـ (الهاراكيرى) لو أن هذا صحيح(*) .

أشار وزير الخارجية بيده ، قائلا :

ـ الأمر لا يمكن أن يذهب إلى هذا الحد .. المهم أن نتعاون لإيقاف (يوشيدا) عند حده .

تنهد وزير الداخلية فى عصبية شديدة ، وهو يقول :

ـ بدون أدلة قوية ، لن يمكننا هذا قط .

قال وزير الخارجية فى حماس :

ـ ليس من الضرورى أن نسعى للإيقاع به .. يكفى أن نجتز رءوس كل من يتعاون معه ، ونتوقف عن دعمه وتأييده .

(*) الهاراكيرى : وسيلة انتحار يابانية شهيرة ، يقدم عليها جنرالات الجيش أو كبار المسئولين هناك ، فى حالة الفشل أو الفضيحة ، وهى تعتمد على أن يستخدم الواحد منهم سيفًا حادًا ، ليقر بطنه بنفسه .

صمت وزير الداخلية بضع لحظات مفكرًا ، قبل أن يقول فى تردد :

ـ هل تعتقد أن هذا يكفى ؟

هز زميله رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلا ، ولكن من الواضح أن بعضهم يسعى للإيقاع به ، وكل ما علينا هو أن نغمض أعيننا عن هذا ، ونفسح المجال أمام من يسعون خلفه .

سأله ، وزير الداخلية فى حذر :

ـ أتقصد المصريين ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابًا فى صمت ، فتنهد وزير الداخلية فى عمق ، وتمتم :

ـ لست أدرى .. ربما كانت هذه هى الوسيلة ..

وعاد إلى صمته بضع لحظات أخرى ، قبل أن يردف فى حزم :

ـ فليكن .. لا يمكننى أن أعدك بأننا سنعاون طرفًا دون الآخر ، أو نعينه عليه ، ولكن كل ما يمكننى أن أعدك به ، هو أنه لو سقط (فاكو يوشيدا) ، فلن تمتد إليه يد أحد لانتشاله .

وتنفس وزير الخارجية الصعداء ..

ففى تلك المرحلة كان هذا يكفى ..

يكفى كثيرًا ..

★ ★ ★

جحظت عينا (يوشيدا) ، حتى كادتا تقفزان من محجريهما ، وهو يحدق فى شاشة المراقبة ، التى نقلت صورة (أدهم) وصوته ، وهو يقول لرئيس الأمن بالإنجليزية :

ـ لدى موعد مع (يوشيدا) سان .

غمغم (ناتاسون) فى دهشة ، لم يستطع إخفاءها :

ـ يا لجرأته !.. كيف يأتى إلى هنا بقدميه ، بعد كل ما حدث أمس ؟!

تمتم (أوهارا) ، وهو يحدق فى الشاشة بدوره :

ـ المدهش أنه يعلم أن رجال الشرطة يبحثون عنه .

انبعث فى هذه اللحظة صوت رئيس الأمن ، عبر جهاز الاتصال الخاص ، وهو يقول :

ـ (سام واتكنز) سان ، من (نيو أورليانز) ، يطلب مقابلتك يا (يوشيدا) سان ، بناءً على موعد سابق .

حدق (يوشيدا) فى الشاشة مرة أخرى ، قبل أن يدير عينيه إلى (أوهارا) ، قائلاً :

ـ هل نبلغ الشرطة ؟!

هزّ المحامى رأسه نفيًا فى قوة ، قائلاً :

ـ كلا .. سيعقد هذا الأمور أكثر .

هتف (ناتاسون) بغتة :

ـ دعه يصعد إلى هنا يا (يوشيدا) سان .

هتف (يوشيدا) مستنكرًا :

ـ إلى هنا ؟!

أجابه (ناتاسون) فى حزم :

ـ ثق بى .

تردد (يوشيدا) لحظة ، ثم ضغط زر جهاز الاتصال ، قائلاً بصوت واضح التوتر والعصبية :

ـ دعه يصعد يا رجل .. أنا فى انتظاره بالفعل .

ثم أضاف فى عصبية شديدة :

ـ ولكن بعد اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة .

أجابه رئيس الأمن :

ـ بالتأكيد يا (يوشيدا) سان .. بالتأكيد .

أنهى (يوشيدا) الاتصال ، وأدار عينيه إلى (ناتاسون) ، قائلاً فى حدة :

ـ لست أريد قتالاً فى شركتى .

أجابه (ناتاسون) فى حزم :

ـ لسنا من الغباء لنفعل هذا يا (يوشيدا) سان .. كل ما أريده هو أن يتم تصوير كل حركة يأتى بها داخل المبنى ، بما فى هذا مقابلتك معه ، وبعدها اتركوه يرحل فى سلام ، ولكن اعملوا على تعقبه جيدًا ، حتى تعلم إلى أين سيذهب بالضبط .

قال المحامى فى توتر :

ـ ولكنه خبير فى هذا المجال ، ولقد كشف تتبُّع (ميتسو) له فى المرة السابقة ، وعامله بقسوة شديدة .

قال (ناتاسون) ، فى مزيج من السخرية والعصبية :

ـ هذا لأن إمبراطور الإليكترونيات الدقيقة لجأ إلى وسيلة بدائية قديمة ؛ ليتعقّب خصمه ، ولم يحاول استخدام جهاز رصد حديث ، فى حجم الترمسة .

ارتفع حاجبا المحامى فى دهشة ، فى حين انعقد حاجبا (يوشيدا) لحظة ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ أنت على حق .

ثم أشار إلى حجرة ملحقة بمكتبه ، مستطردًا بلهجة آمرة :

ـ انتظرا فى هذه الحجرة .. ستجدان فيها شاشة مراقبة خاصة ، لمتابعة كل ما يدور هنا ، دون أن يشعر بكما هذا المصرى .

اتجه (ناتاسون) إلى الحجرة مباشرة ، فى حين لوّح (أوهارا) بسبابته أولاً ، وهو يقول :

ـ تذكّر أنك لا تعلم شيئًا عن حادث السفارة يا (يوشيدا) سان .. أى شىء .

قال (يوشيدا) فى خشونة :

ـ أعلم هذا .

اختفى الاثنان فى الحجرة المجاورة ، فى حين جلس (يوشيدا) خلف مكتبه الكبير ، وانعقد حاجباه فى عصبية ، وهو يتطلّع إلى زجاجه المحطّم ، مغمغمًا :

ـ اللعنة !

لم يكد ينطق الكلمة ، حتى ارتفع صوت مدير مكتبه ، عبر جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يقول :

ـ (سام واتكنز) سان هنا يا سيدى .

فتح (يوشيدا) أحد أدراج مكتبه ، والتقط منه علبة صغيرة ، وهو يقول فى توتر ، حاول أن يخفيه بقدر استطاعته :

ـ دعه يدخل .

لم تمض ثوان معدودة ، حتى كان (أدهم) يدلف إلى حجرة (يوشيدا) الواسعة فى هدوء عجيب ، ووجهه يحمل ابتسامة مستفزة ، وهو يقول بالإنجليزية :

- صباح الخير يا (يوشيدا) سان .. هل تعلم أن الدخول إلى مكتبك يستلزم المرور بإجراءات أمن شديدة التعقيد ، تفوق مرتين ما يتعرض له المرء ، عندما يطلب زيارة الإمبراطور نفسه .

كظم (يوشيدا) غيظه ، وهو يقول :

- أنت تعلم مخاطر هذه الأيام يا (واتكنز) سان .

أحنقته ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وصوته الذى يقول متهكمًا :

- ولكن رجال الأمن هنا يبالغون حقًا .. لقد فتشونى ثلاث مرات ، باستخدام الأيدى والبوابات الإليكترونية ، وأجهزة كشف الأسلحة ، وراجعوا بصماتى على سجلات الأمن ، وفحصونى بالأشعة دون الحمراء ، وفوق البنفسجية .. صدقنى .. لقد كتمت ضحكاتى بصعوبة .

لم ترق العبارة للمحامى ، وهو يراقب الموقف من الحجرة الجانبية ، وعقد (ناتاسون) حاجبيه فى اهتمام ، فى حين قال (يوشيدا) فى دهشة متوترة :

- ضحكاتك ؟!

لوّح (أدهم) بكفه ، قائلاً :

- بالتأكيد ، فكل ما فعلوه لا يعنى شيئًا .. الأسلحة الحقيقية يمكن أن تختفى فى أشياء بريئة المظهر .

غمغم (يوشيدا) فى شحوب :

- حقًا ؟!

أخرج (أدهم) من جيبه سيجارًا كوريًا ، دس طرفه بين شفتيه ، ثم التقط قداحته من جيبه ، وأشعلها فى الهواء ثلاث مرات ، قائلاً بنفس اللهجة الساخرة :

- المفترض ألا يخفى هذا عن إمبراطور الإليكترونيات الدقيقة .

بدا وكأنه يتسلى بإشعال القداحة وإطفائها ، وهو يحرك يده فى بطء ، ويرمق (يوشيدا) بنظرات ساخرة ، دون أن يُشعل السيجار ، على نحو استفز إمبراطور الإليكترونيات ، وأشعل أعصابه الثائرة ، فقال فى حدة :

- ألن تشعل السيجار ؟!

انطلقت من حلق (أدهم) ضحكة ساخرة طويلة ، احتقن لها وجه (فاكو يوشيدا) فى حدة ، وارتفع لها حاجبا (أوهارا) فى دهشة ، فى حين غمغم (ناتاسون) فى صوت خافت ولهجة خاصة :

- لست أظنه يشعله ، فى مثل هذه الظروف .

أما (أدهم) ، فلم تكد ضحكته تنتهى ، حتى أعاد قداحته إلى جيبه ، وهو يقول :

ـ لست أعتقد أنه سيسعدك أن أشعله يا (يوشيدا) .. سان ؛ فالواقع أنه ليس سيجارًا ، وإنما هو ...

مدّ يده إليه بالسيجار ، مضيفًا فى سخرية :

ـ إصبع ديناميت(*)

انتفض (يوشيدا) فى عنف ، وهبّ من مقعده بحركة حادة ، فى حين هتف المحامى فى الحجرة المغلقة :

ـ اللعنة !

أما (ناتاسون) ، فراقب المشهد فى اهتمام بالغ ، ورأى (يوشيدا) على الشاشة ، يهتف مذعورًا :

ـ ما الذى ترمى إليه بالضبط يا (واتكنز) سان ؟

انعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة شديدة ، وهو يقول :

ـ لا داعى للاستمرار فى هذه التمثيلية يا (يوشيدا) .. أنت وأنا نعلم جيدًا من أنا ، ولماذا أتيت إلى هنا ؟!

(*) الديناميت : متفجّر مصنوع من النيتروجلسرين ومادة مسامية ، وتنطلق شحنته باستعمال مفجّر أو فتيل تفجير ، ولقد كشفه (ألفريد نوبل) ، عام ١٨٦٦ م .



انعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة شديدة ، وهو يقول :
ـ لا داعى للاستمرار فى هذه التمثيلية يا (يوشيدا) ..

اتسعت عينا (يوشيدا) فى ارتياع ، فى حين توتر (أوهارا) فى شدة ، وقال فى عصبية :

ـ أعتقد أنه آن الأوان لنتدخل .. إنه يعلن صراحة أنه قادم لقتله .

أمسك (ناتاسون) يده فى قوة ، قائلاً :

ـ رويدك يا رجل .. لا تنس كل ما أخبرتنى به عن هذا المصرى ، وما ورد فى ملفه .. إنه لا يقتل قط ، إلا للضرورة القصوى .

أجابه (أوهارا) فى حدة :

ـ من الواضح أنه قد تجاوز القاعدة هذه المرة ، من شدة غضبه ، وإلا ما نسف عشرةً من رجالنا بلا تردُّد ، عندما حاصروه فى الفندق .

انعقد حاجبا (ناتاسون) فى شدة ، إزاء هذا المنطق الجديد ، ولكنه ضغط يد المحامى ثانية ، قائلاً :

ـ انتظر لنرى ما ستسفر عنه الأمور ، وسنتدخَّل إذا ما حتَّم الأمر هذا .

كان (يوشيدا) يهتف فى هذه اللحظة ، فى ذعر واضح :

ـ ماذا تريد منى بالضبط يا (أدهم) سان ؟!

لوّح (أدهم) بالسيجار المتفجر فى وجهه ، قائلاً فى صرامة :

ـ أريد أن تعلم أننى قادر على الوصول إليك ، مهما اتخذت من احتياطات ، ومهما وضعت أمامى من حواجز وعراقيل .. هل تفهم ؟!

امتقع (يوشيدا) فى شدة ، وهو يحدّق فى وجه (أدهم) ، قبل أن يستعيد تماسكه ، ويعتدل فى وقفته ، قائلاً :

ـ فقط ؟!

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو ينهض ، قائلاً :

ـ هذا يكفى هذه المرة يا (يوشيدا) .. سان .

قالها ، واستدار لينصرف فى هدوء ، ولكن (يوشيدا) أسرع إليه ، هاتفًا :

ـ لحظة يا (أدهم) سان .

التفت إليه (أدهم) فى هدوء ، فاقترب منه (يوشيدا) ، وربَّت على كتفه ، قائلاً بابتسامة مرتبكة :

ـ ألا يمكننا أن نتفاوض ؟!

شعر المحامى بالدهشة ، وهو يراقب هذا المشهد على الشاشة ، وغمغم فى عصبية :

ـ يتفاوض ؟!.. ما الذى يفعله (يوشيدا) سان ؟!

ابتسم (ناتاسون) فى دهاء ، وهو يقول :

ـ أنا أعلم جيدا ما يفعله .

التفت إليه المحامى فى تساؤل ، فى نفس اللحظة التى ابتسم فيها (أدهم) فى سخرية ، مجيبًا (يوشيدا) :

ـ بالتأكيد يا (يوشيدا) .. يمكننا أن نتفاوض .. لقد تسببت فى مصرع اثنين من زملائى وسبعة وعشرين من العاملين بسفارتنا ، وسفيرنا ، الذى كان قائدى فى الماضى .

هتف (يوشيدا) فى عصبية :

ـ لا يوجد دليل واحد على أننى فعلت هذا .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يتطلع إلى عينيه مباشرة ، قائلاً بلهجة تجمد لها الدماء فى العروق :

ـ ومن يبحث عن دليل ؟!

قالها ، واستدار متجهًا إلى الباب ، فهتف به الرجل ثانية :

ـ قلت : إنه يمكننا أن نتفاوض .. ما الثمن المناسب ، لتنسى كل هذا ، وتعود إلى وطنك ؟!

صمت (أدهم) لحظة ، وهو يوليه ظهره ، ثم التفت

إليه فى بطء ، ورمقه بنظرة تحمل الغضب وكراهية الدنيا كلها ، وهو يجيب :

ـ حياتك .

انتفضت كل خلية فى جسد (يوشيدا) ، فى حين غادر (أدهم) حجرة المكتب ، وأغلق بابها خلفه فى هدوء مستفز ، تاركا (يوشيدا) خلفه يرتجف .. وبعنف ..

* * *

ران ذلك الصمت المهيب ، على القاعة الكبيرة ، التى تضمّ مقاتلى (ناتاسون) ، والجميع يتابعون إعادة عرض لقاء (أدهم) و (يوشيدا) ، على شاشة تلفاز ضخم ، فى اهتمام بالغ ، حتى لحظة مغادرة الأول لحجرة مكتب الثانى ، وعندما بلغ العرض هذه النقطة بالتحديد ، أوقف (ناتاسون) المشهد ، وهو يواجه مقاتليه ، قائلاً بصوته القوى ، ولهجته الصارمة :

ـ العرض الذى شاهدتموه ، يمنحكم فكرة جيدة ، عن الخصم الذى تواجهونه ، وهو كما لاحظتم ، بالغ الجرأة ، والشجاعة ، والخبث ، والدهاء ، بالإضافة إلى قوته ومهاراته المدهشة ، التى يتحدث عنها ملفه ، وقدومه إلى هنا لمقابلة (يوشيدا) سان ، كان له

هدفان ، أولهما أن يواجه خصمه الرئيسى ، ويلتقى به وجهًا لوجه ، ويدرس شجاعته وردود أفعاله الرئيسية ، وثانيهما أن يستفزه ، ويدفعه إلى الاستعانة بنا للقضاء عليه ، كما فعل من قبل لتنفيذ عملية السفارة .

وهزّ رأسه فى قوة ، وهو يلتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يتابع :

ـ وهذا يعنى أنه يتوقّع ظهورنا على الساحة ، وينتظره .

غمغم أحد المقاتلين :

ـ هذا يفقدنا عامل المفاجأة .

أشار (ناتاسون) بسبّابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد فى صرامة :

ـ ما لم نمنحه المفاجأة من جانب آخر .

سأله أحدهم فى اهتمام :

ـ أى جانب ؟!

أجابه (ناتاسون) فى حزم :

ـ الجانب الذى لا يمكنه أن يتوقّعه .. إنه الآن يسعى لاستفزازنا طوال الوقت ، فى محاولة لدفعنا للظهور

وقتما يشاء ، وفى أرض المعركة التى يختارها لصالحه .. ولكننا سنفسد عليه اللعبة كلها .

أطلّ تساؤل واضح من عيونهم ، جعله يتابع بابتسامة ظافرة :

ـ وهذا هو الجانب الإيجابى لمقابلته لـ (يوشيدا) سان .

وأعاد العرض من منتصفه ، وهو يشير إلى الشاشة ، متابعًا :

ـ لاحظوا هذا الجزء ، عندما استوقفه عميلنا ، وربّت على كتفه .. هل أدركتم ما فعله بالضبط ؟!

بدا عليهم الاهتمام والانتباه ، وهم يتطلّعون إلى الشاشة ، ثم لم يلبثوا أن تبادلوا مع بعضهم نظرات حائرة ، جعلته يضغط زر جهاز التحكم ، ليرسم مربعًا حول يد (يوشيدا) ، الموضوعة على كتف (أدهم) ، ثم يضاعف حجم المربّع مع ذلك الجزء ، حتى امتلأت به الشاشة كلها ، وقال :

ـ كانت حركة بارعة ذكية من (يوشيدا) سان .. استوقفه قبيل انصرافه ، وربّت على كتفه ، ليغرس فى سترته جهازًا إليكترونيًا دقيقًا ، يرسل إشارات منتظمة ، يمكن بوساطتها تحديد موقع ذلك المصرى فى أية لحظة ، مادام داخل مدينة (طوكيو) .

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

ـ وهذا يعنى أننا نستطيع مهاجمته فى عقر داره ، فى الوقت الذى نختاره نحن ، وبالأسلوب الذى يناسبنا تماما .

وتألقت عيناه ، مع متابعته :

ـ وهذا يجعل المفاجأة من نصيبه هو .

نطقها على نحو يوحى بأنه لم يعد أمام (أدهم) و (جيهان) أمل فى النجاة ..

أدنى أمل ..

* * *

لم يكد الظلام يهبط على مدينة (طوكيو) ، فى تلك الليلة ، حتى حلقت الهليوكوبتر الخاصة بشركة (يوشيدا) فى سماء العاصمة ، وانطلقت نحو مبنى بالتحديد ، فى قلب الحى الراقى بالمدينة ، وكأنها تعرف هدفها جيدا ..

وبداخل الهليوكوبتر ، جلس (ناتاسون) مع خمسة من مقاتليه ، فى ثيابهم الحالكة السواء ، يستمعون إليه جيدا ، وهو يراقب شاشة جهاز صغير ، أشبه بالآلة الحاسبة ، قائلا :

ـ الإشارات واضحة ، والهدف تم تحديده بمنتهى الدقة ، على الخريطة الإليكترونية ، ومن الواضح أن خصمنا يقيم فى الطابق الثانى عشر من ذلك المبنى هناك .. فى الشقة الوسطى .

كانت الهليوكوبتر تتجه نحو البناية مباشرة ، ومع آخر كلمات (ناتاسون) ، انخفضت لتحلق على ارتفاع ثلاثة أمتار من سطحها ، فقال فى صرامة :

ـ الآن .

وبلا ذرة واحدة من التردد ، وثب المقاتلون الخمسة من الهليوكوبتر إلى السطح ، حاملين سيوفهم القوية ، وجعبة أسلحتهم الإليكترونية المتطورة ..

وعبر دائرة لاسلكية مغلقة ، تحدث (ناتاسون) إلى مقاتليه ، قائلا :

ـ زملاؤكم يحتلون الآن مداخل ومخارج المبنى ، بحيث لا يجد خصمكم ثغرة واحدة للفرار ، عندما تنقضون عليه ، أما أنتم ، فعليكم أن تهبطوا من السطح ، عبر سبعة طوابق ، إلى الطابق الثانى عشر ، ثم تنقضوا عليه ، عندما أطلق الإشارة ..

ثم انعقد حاجباه فى صرامة ، انتقلت واضحة إلى صوته ، وهو يتابع :

– ارتدوا كل أسلحتكم ، وقاتلوا بكل قوتكم ، واستخدموا أقصى مهاراتكم .. لن أقبل الفشل أو الهزيمة قط .. هل تفهمون ؟!

أجابه الجميع بالإيجاب ، عبر الدائرة اللاسلكية المغلقة ، فقال فى حزم :

– عندما تنتهون من مهمتكم ، سأكون هنا بالهليوكوبتر لالتقاطكم .. هيّا .. ابدءوا التنفيذ .

تحرّك مقاتلو (النينجا) فى خفة وسرعة ، فور تلقى الأمر ، وراحوا يثبتون خطاطيفهم فى حاجز السطح ، وألقوا حبالهم إلى الطابق الثانى ، ثم تعلّقوا بها ، وانزلقوا عليها فى خفة ، دون أن يصدر عنهم أدنى صوت ، أو ينتبه أحد إليهم ، مع زيهم الأسود ، وحبالهم المصبوغة باللون نفسه ، حتى هبطوا فى شرفة المنزل ، الذى تنبعث منه إشارة جهاز التتبُّع ، الذى دسّه (بوشيدا) فى سترة (أدهم) ..

وعندما استقرّ المقاتلون الخمسة داخل الشرفة ، أسرعوا يرتدون مناظير الرؤية الليلية ، وأجهزة الاستماع الدقيقة ..

وعبر تلك الأجهزة الأخيرة ، التقطت آذانهم صوت (أدهم) ، وهو يتحدّث بالعربية مع (جيهان) ..

لم يكن بإمكانهم فهم حرف واحد من المحادثة ، ولكنها كانت تكفى للتأكد من أن خصمهم بالداخل ، وأنهم لم يخطئوا الهدف ..

ولكن أحدًا منهم لم يتحرك ..

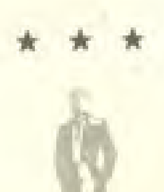
لقد توقّفوا صامتين جامدين ، وكأنهم تماثيل رخامية ، تنتظر إشارة ما ، لتبث فيهم الحركة ..

وجاءت الإشارة بغتة ، عندما فصل زُملاؤهم بأسفل التيار الكهربى الرئيسى والاحتياطى عن المبنى كله ، فغرق فى ظلام دامس ..

وفى نفس اللحظة ، اقتحم مقاتلو (النينجا) الخمسة الشرفة ، وشهروا سيوفهم ، وهم ينقضّون على المنزل .

وبكل قوتهم .

* * *



٨ - حرب النينجا ..

لم يستطع (يوشيدا) التوقُّف عن الحركـة ، فى مكتبه الواسع لحظة واحدة ، منذ انطلقت هليوكوبتر الشركة من السطح ، حاملة فريق (النينجا) ، فـى طريقه لتنفيذ مهمته ..

وطوال الوقت ، كانت تدور فى ذهنه فكرة واحدة ..

هل ينجح (ناتاسون) ومقاتلوه فى مهمتهم هذه المرة ؟!

هل ؟!..

كان نجاحهم الساحق فـى عمليـة السفارة ، منذ ساعات محدودة ، يوحى بأنهم حتمًا منتصرون ، فى هذه العملية الجديدة ..

ولكن تاريخ (أدهم) يؤرقه ..

ويزعجه ..

ومقابلته مع هذا الأخير تزيد من مخاوفه ، وتضاعف قلقه ألف مرة ..

لقد شعر وكأنه يقف أمام أسد محصور ، تكفى نظرة واحدة إلى عينيه ، لينهار كيان المرء فى لحظات ..

والواقع أن تأثير تلك المقابلة مـازال يسرى فى عروقه ، حتى هذه اللحظة ..

الشىء الوحيد الذى يهدئ من انفعالاته ، هو أنه رأى بنفسه مقـاتلى (ناتاسون) يتدرّبون ، وأدرك كم هم أقوياء ..

وقساة ..

ثم إن (أوهارا) يؤكّد له أن الواحد منهم بمثابة فرقة قتالية كاملة ..

وهذا يعنى أنهم سينتصرون ..

على الأرجح ..

« (يوشيدا) سان .. هل تسمعنى ؟!.. »

نقل إليه جهاز الاتصال المحدود عبارة (ناتاسون) ، فقفز يلتقط اللاسلكى ، قائلاً فى لهفة :

ـ إنه أنا يا (ناتاسون) سان .. ماذا يحدث عندك ؟!

أجابه (ناتاسون) من الهليوكوبتر :

ـ كل شىء يسير على ما يرام يا (يوشيدا) سان .. المقـاتلون سـيطروا علـى مداخـل ومخـارج المبنـى ، وأوقفوا المصعد ، وأتلفوا أجهزة الاتصال الخارجيـة والداخلية ، وبعد لحظات سيتم قطع التيار الكهربى ؛ لبدء الهجوم .

وامتلأ صوته برنة زهو واضحة ، وهو يكمل :

ـ إننى أرى الآن مقاتلىّ الأفذاذ ، يهبطون من السطح بحبالهم السوداء ، إلى شرفة ذلك المنزل ، الذى رصده جهاز التتبُّع .

سأله (يوشيدا) فى توتر :

ـ أأنت واثق من أن الرجل والفتاة هناك ؟!

أجابه (ناتاسون) فى حسم :

ـ تمام الثقة يا (يوشيدا) سان .. الرجال تيقنوا من وجوده أولاً ، قبل أن يعطونا إشارة الهبوط .

فرك (يوشيدا) كفيه ، مغمغمًا :

ـ أتعشَّم أن تكون المفاجأة كاملة .

ابتسم (ناتاسون) ، قائلاً :

ـ ستكون كذلك يا (يوشيدا) سان .. اطمئن .. إنه لا يتوقَّع هذا الهجوم قط .

ثم انطلق منه هتاف حماسى ، جعل (يوشيدا) يسأله فى انفعال :

ـ ماذا حدث ؟!.. ماذا حدث يا (ناتاسون) ؟

صاح به (ناتاسون) :

ـ انقطع التيار الكهربى ، وبدأ الرجال الهجوم ، و ...

بتر عبارته بغتة ، لتنطلق منه شهقة قوية ، جفت لها الدماء فى عروق (يوشيدا) ، وهتف وجسده كله ينتفض فى عنف :

ـ ماذا حدث ؟!.. ماذا حدث ؟!

ولكنه لم يتلقَّ جوابًا ، من (ناتاسون) هذه المرة ..

فقد كان هذا الأخير يكاد ينفجر ، وهو يحدق فى ذلك الذى أطلق الشهقة من أجله بكل الدهشة ..

وكل الغضب ..

* * *

لم يكد التيار الكهربى ينقطع فى المبنى ، حتى حطَّم مقاتلو (النينجا) الخمسة شرفة المنزل ، واقتحموه فى عنف ، وكل منهم يرتدى منظار الرؤية الليلية ، وجهاز الاستماع الدقيق ، ويحمل سيفه القوى ، و ...

وفجأة ، وعلى الرغم من انقطاع التيار الكهربى ، أضيئت ثلاثة مصابيح قوية فى وجوههم دفعة واحدة ..

ومع مناظير الرؤية الليلية ، تضاعفت شدة الإضاءة عشر مرات على الأقل ، وهى ترتطم بعيون المقاتلين الخمسة .

وأغشت أبصارهم تمامًا ..

وفى اللحظة نفسها ، انقضَّ عليهم (أدهم) و (جيهان) ..

وبقفزة مدهشة ، ركل (أدهم) أحد الرجال الخمسة فى صدره ، ثم لكمه فى فكه لكمة كالقنبلة ، فى نفس اللحظة التى انقضت فيها (جيهان) على رجل آخر ، ودارت حول نفسها كالمروحة ، لتضربه فى ساقيه ، هاتفة :

- الآن يمكننى أن أقسم إن وجودى يخطف الأبصار .

سقط الرجل أرضًا ، فى نفس اللحظة التى فقد فيها ذلك الذى هاجمه (أدهم) توازنه ، ولكن الاثنين وثبا واقفين فى جزء من الثانية ، وصرخ أحدهما بكلمة ما ، لا نظير لها فى اللغة اليابانية ، فتحرك المقاتلون الخمسة فى سرعة مدهشة ، وأدار كل منهم ظهره ، قبل حتى أن يستعيدوا قدرتهم على الرؤية ، وتراجعوا على نحو مبهر ، ليصنعوا من أنفسهم دائرة ، وكأنهم تدربوا على هذا الأمر ألف مرة ، بحيث كانت وجوههم خارج الدائرة ..

ثم تحركت سيوفهم فى سرعة ومهارة مدهشتين ، على نحو يمنع أى مخلوق من الاقتراب منهم ، حتى تتكيف عيونهم على الضوء المبهر ، وتستعيد قدرتها على الرؤية الواضحة ..

وفى دهشة غامرة ، غمغمت (جيهان) :

- كيف فعلوا هذا ؟!

كانت ترتدى و (أدهم) مناظير خاصة ، كتلك التى تستخدم فى لحام المعادن ؛ للحد من الضوء المبهر ، فى حين انتزع مقاتلو (النينجا) مناظير الرؤية الليلية ، وهم يطلقون صيحات قتالية متوالية ، وسيوفهم تدور حولهم كمراوح هائلة حادة ..

ولم يشأ (أدهم) إضاعة جزء من الثانية ..

كان ذلك الذى حدث أمامه ، يؤكد دون أدنى شك ، أن هؤلاء المقاتلين أقوى وأبرع مما كان يتوقع بكثير .

ولو أنهم تجاوزوا المفاجأة ، واستعادوا قدرتهم على المواجهة ، فسيقاتلون كالوحوش ، وبمهارة يعجز هو و (جيهان) عن التصدى لها حتمًا ..

لذا فقد بدأ هجومًا جديدًا ..

ومختلفًا ..

لقد استل مسدسه من غمده ..

وأطلقه ..

وفى اللحظة نفسها تقريبًا ، أطلقت (جيهان) بدورها رصاصات مسدسها الصغير ..

ولكن كليهما كان يصوب مسدسه إلى هدف مختلف .

لقد أطلق (أدهم) النار على سيوف مقاتلى (النينجا) ، فى حين أطلقت (جيهان) رصاصاتها على الصدور والرءوس ..

وكانت المفاجأة من نصيبيهما معًا ..

فرصاصات (جيهان) ارتطمت بالخوذات والدروع المضادة للرصاصات ، وارتدت فى عنف ، حتى كادت تصيبها ..

أما السيوف ، التى أصابتها رصاصات (أدهم) ، فقد تبيّن له ، فى تلك اللحظات بالذات ، أن مقابضها مربوطة بسلاسل رفيعة قوية ، إلى معاصم المقاتلين ، وما إن تصيبها الرصاصات ، وتطيح بها ، حتى يجذبها المقاتل إليه ثانية ، ويلتقطها بين أصابعه القوية ، ليقاتل بها ثانية ..

وتراجعت (جيهان) فى دهشة متوترة ، وهى تهتف :

- ربّاه !.. أى مقاتلين هؤلاء ؟!

انطلق هتافها ، فى نفس اللحظة التى استعاد فيها المقاتلون قدرتهم على الرؤية ، وأطلقوا صيحاتهم القتالية المخيفة ..

وبدءوا قتالهم ..

ثلاثة منهم انقضوا على (أدهم) ، والآخران هاجما (جيهان) ..

ولم يكن أمام (أدهم) بديل ..

لقد أطلق رصاصات مسدسه على الجزء الوحيد الواضح من المقاتلين ..

عيونهم ..

واخترقت رصاصاته رأسى رجلين ، بين عيونهما مباشرة ، وأطاحت بهما فى عنف ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها صرخة الثالث ، وهو يهوى بسيفه على مسدس (أدهم) ..

كانت الضربة قوية بالفعل ، حتى أنها أطاحت بالمسدس ، وألقته حتى نهاية الحجرة ، فدار سيف مقاتل (النينجا) ثانية ، ليهوى على رأس (أدهم) مباشرة ..

فى نفس اللحظة ، كانت (جيهان) تتراجع بدورها ، متفادية سيفى المقاتلين ، وهى تهتف :

- يا لوقاحتكما !.. أتهاجمان آنسة رقيقة مثلى .

ثم وثبت عبر الحجرة ، وعبرت المنضدة الواسعة ، قبل أن تضربها بقدمها ، وتلقيها فى وجهيهما ..

كان (أدهم) فى هذه اللحظة يقفز جانبًا ، متفاديًا



ثم يختطف السيف ، في نفس اللحظة التي عاود فيها مقاتل (النينجا) هجومه وهوى على رأسه بسيفه ..

ضربة السيف القوية ، ثم ينحنى فى سرعة ، متجاوزًا ضربة علوية أخرى ، وهو يقول :

- من الواضح أنكم مقاتلون من طراز خاص .

انحنى مقاتل (النينجا) ، ليضرب ساقيه بسيفه ، فوثب (أدهم) عاليًا ، وهو يكمل :

- ولكن هذا وحده لا يكفى للفوز .

ومع عبارته ، ركله المقاتل فى وجهه بقوة ، فدفعه مترًا واحدًا إلى الخلف ، ثم هبط على قدميه ، ومال بسرعة مدهشة ، لينتزع سلسلة سيف ، من حول معصم أحد اللذين صرعهما برصاصاته ، ثم يختطف السيف ، فى نفس اللحظة التى عاود فيها مقاتل (النينجا) هجومه ، وهوى على رأسه بسيفه ، وهو يهتف :

- فليكن .. أنت ماهر بالفعل فى استخدام السيف .

ثم انقضّ بدوره ، مستطردًا :

- ولكنك لست الأكثر مهارة .

كانت (جيهان) تواصل تراجعها ، وهى تطلق النار عبثًا نحو خصميها ، اللذين وعيا الدرس ، فحميا عيونهما بساعديهما ، ولكن صليل السيوف جذبهما ، فانفصل أحدهما ، وانضمّ بسرعة إلى زميله ، فى قتاله مع (أدهم) ..

وارتطمت السيوف الثلاثة ببعضها فى عنف ، و (أدهم) يقاتل بكل مهارته وقدرته ، ويصد بسيفه سيفى مقاتلى (النينجا) تارة ، ثم يهاجمهما به تارة أخرى ، وصليل السيوف يرتفع ، مابين الكرّ والفرّ ، كما لو أن الزمن قد تراجع عدة قرون إلى الخلف ، وأطل التاريخ برأسه فى عالمنا الحاضر ..

أما المقاتل الثالث ، فقد انقضّ على (جيهان) ، التى أطلقت نحوه رصاصة جديدة ، صارخة :

ـ لا .. لن أسمح لك .

أصابت رصاصتها صدره ، ثم ارتدت عنه فى عنف ، فى حين هوى سيفه على مسدسها ، وأطاح به ، فاتسعت عيناها ، وتراجعت فى سرعة ، وهى تهتف :

ـ رباه !.. لست أظن رأسى يظلّ جميلا ، داخل وعاء من البلاستيك .

ارتفع سيف مقاتل (النينجا) ، ليهوى به على عنقها ، فقفزت بظهرها إلى الخلف ، وارتطمت بالجدار فى عنف ، فاتسعت عيناها فى ألم ، وهوت أرضًا ..

ولم يهو المقاتل بسيفه ..

لقد رآها تسقط أمامه فاقدة الوعى ، فاكتفى بهذا لسبب ما ، واستدار بكيانه كله نحو (أدهم) ..

كان القتال قد احتدم بالفعل ، بين (أدهم) ومقاتلى (النينجا) اللذين أدركا أن درعيهما القويتان ستمنعانه من غرس سيفه فى جسديهما ، فانقضا عليه بعنف أكثر ، وزادت قوة ضرباتهما ، التى يبذل جهدا خرافيًا ليصدها بسيفه ، وهو يتراجع أكثر وأكثر ، حتى التصق بالجدار .

وفى صرامة ، عقد المقاتل الثالث حاجبيه ، ثم انتزع من حزامه نجمة من نجوم (النينجا) ، ذات الأطراف الحادة ، وصوبها نحو (أدهم) ، و ...

وفجأة ، انطلقت من خلفه صرخة قوية ، تحمل صوت (جيهان) فاستدار إليها بأقصى سرعة ، ورآها تندفع نحوه بمقعد معدنى كبير ، فألقى نحوها نجمته ، ذات الأطراف الحادة ، فى محاولة لإيقافها ..

وانغرست الأطراف الحادة فى صدر (جيهان) ، على مقربة من عنقها ، إلا أنها لم تتوقف ، وإنما واصلت اندفاعها نحوه بنفس القوة والسرعة ، فارتطمت به بالمقعد ، ودفعته أمامها لمترين ، وهو يطلق صرخة غاضبة ، ويرفع سيفه ..

ثم انتبه فجأة إلى ما فعلته به ..

انتبه عندما ارتطم ظهره بحاجز الشرفة ، واختلّ توازنه ، ووجد نفسه ينقلب خارجها ، فأطلق صرخة

غاضبة ، وحاول التشبث بالحاجز ، إلا أن (جيهان) رفعت المقعد الثقيل ، وهي تصرخ في انفعال :

- اذهب إلى الجحيم .

وهوت بالمقعد ، بكل ما تملك من قوة ، على رأس مقاتل (النينجا) ، الذي جحظت عيناه في دهشة وألم ، وأفلتت أصابعه حاجز الشرفة ، وهوى ..

من ارتفاع اثني عشر طابقا ..

وحاولت (جيهان) أن تستدير ، لمعاونة (أدهم) ، في قتاله مع الرجلين الآخرين ، ولكن رأسها دار بشدة ، وخيل إليها أن الأرض تميد بها ، فهتفت ساخطة :

- يا للأوغاد !.. إن نجومهم هذه مسمومة .

أطلقت هتافها ، ثم هوت أرضا ، أمام عيني (أدهم) ، الذي انعقد حاجباه في شدة ، وهو يصد ضربات مقاتلي (النينجا) القوية ، عاجزا عن إنقاذها أو إسعافها ..

وبمهارة ، انحنى متفاديا ضربة أحد السيفين ، ثم وثب يركل أحد المقاتلين في وجهه ، ويقبض على معصم الآخر ، محاولا منعه من استخدام السيف ..

وتراجع المقاتل الأول لمتر واحد ، قبل أن يستعيد توازنه ، في حين تحرك الثاني بسرعة مدهشة ، لم يعهدها (أدهم) في خصومه قط ، وترك معصمه في

قبضته ، ثم قفز بجسده كله ، ودار حول نفسه دورة رأسية جانبية مدهشة ، ليركل (أدهم) في وجهه بمنتهى العنف ، قبل أن يستقر على قدميه ، في اللحظة نفسها التي عاود فيها زميله هجومه ، ورفع سيفه ، ليهوى به على عنق (أدهم) بكل قوته ..

وجذب (أدهم) إليه معصم المقاتل الثاني ، وهو ينزلق بجسده بين ساقيه في خفة ، فاختل توازن المقاتل ، ومال إلى الأمام ، فارتطم رأسه بالجدار ، في اللحظة نفسها التي هوى فيها زميله بالسيف في مهارة مدهشة ، وتفادى جسد زميله ، ليضرب سيف (أدهم) ضربة قوية مباشرة ، أطاحت به بعيدا ..

وفي لحظة واحدة ، استعاد المقاتلان توازنهما ، وكأنهما آلتان معدتان للقتال وحده ، بلا مشاعر أو أحاسيس ..

وفي هذه المرة ، انقضا على (أدهم) بشراسة مخيفة ، وهو أعزل من السلاح ..

أعزل تماما ..

* * *

« ماذا حدث يا (ناتاسون) ؟!.. أخبرني يا رجل » .

تعالى هتاف (يوشيدا) الثائر ، عبر الموجة المحدودة لجهاز اللاسلكى ، فى اللحظة نفسها التى وصل فيها (أوهارا) ، فاندفع نحوه ، قائلاً :

ـ ماذا هناك يا (يوشيدا) سان ؟!

رفع إليه (يوشيدا) وجهًا شاحبًا ، وهو يقول :

ـ يبدو أن العملية قد فشلت .

اتسعت عينا (أوهارا) فى ارتياع ، وانتفض جسده كله ، وهو يقول فى صوت مرتجف :

ـ فشلت ؟!

ثم التقط جهاز اللاسلكى المحدود ، وصرخ :

ـ هل فشلت العملية يا (ناتاسون) ؟

أتاه صوت (ناتاسون) ، عبر جهاز اللاسلكى ، وهو يقول فى صرامة :

ـ مطلقًا .. ولكن ذلك الرجل كان يعلم أننا سنهاجمه .. لم تكن هناك مفاجأة على الإطلاق بالنسبة له .

سأله (أوهارا) فى توتر :

ـ وكيف علم هذا ؟!

أجابه (ناتاسون) :

ـ من الواضح أنه محترف .. لقد كشف أمر جهاز التتبع ، وأدرك أننا سنهاجمه .. ومن المؤكد أنه درس

ما حدث فى السفارة جيدًا ، وعلم أن رجالى يرتدون مناظير الرؤية الليلية ، فأطلق أضواء مبهرة فى وجوههم ؛ ليغشى أبصارهم .

ثم أضاف فى حنق :

ـ ولكن هذا لن يفت فى عضدهم .. لقد دربتهم على التصرف ، فى موقف كهذا .

أطلق (يوشيدا) زفرة ارتياح ، وألقى جسده المنفعل على المقعد الوثير خلف مكتبه ، وهو يلوّح بيده ، قائلاً :

ـ سله : كيف تسير الأمور ؟!

نقل المحامى السؤال إلى (ناتاسون) ، فأجاب فى صرامة :

ـ لن يمكنه هزيمة رجالى ، مهما بلغت قوته .. اطمئن .. إنهم ..

بتر عبارته بغتة ، مطلقًا صيحة غاضبة ، قبل أن يكمل فى ثورة :

ـ اللعنة !.. أحد رجالى سقط من المبنى .. ذلك المصرى الوغد يقتل رجالى !

هتف المحامى :

ـ وهم أيضًا يسعون لقتله .. أليس كذلك ؟!

كان ينتظر جوابا من (ناتاسون) ، إلا أنه فوجيء به يغلق جهاز الاتصال ، فامتقع وجهه ، وهو يهتف :

- (ناتاسون) .. أجب يا (ناتاسون) .

ولكن جهاز اللاسلكى ظل صامتًا ، على نحو يوحى بأن زعيم (النينجا) قد اشتعل غضبًا ..

وأنه سيقدم على عمل جنونى ..

وعنيف ..

للغاية ..

* * *

من أفضل سمات (أدهم صبرى) ، أنه رجل يدرك قدراته جيدًا ..

وكذلك قدرات الآخرين ..

ومنذ اللحظة الأولى ، التى بدأ فيها قتاله مع هؤلاء (النينجا) ، أدرك جيدًا أنهم مقاتلون أفذاذ ، تلقوا تدريبات مدهشة مكثفة ، جعلتهم أساتذة وخبراء فى مجالهم ..

وأنه من العسير جدًا أن يواجههم ..

وخاصة بحالته الصحية هذه ..

ولكنه قاتلهم ..

وبكل قوته ..

حتى فقد سيفه ..

وعندما رفع مقاتلا (النينجا) سيفيهما ، واستعدا للانقضاض عليه ثانية ، وهو أعزل تمامًا ، كان يدرك جيدًا أن احتمالات فوزه تكاد تنخفض إلى الصفر ..

أو ما هو دون هذا ..

ولكن هذا لم يكن أبدًا بالسبب الكافى ، ليعلن يأسه أو هزيمته ..

فما دام فى جسده قلب ينبض ، وفى صدره نفس يتردد ، سيواصل القتال حتى النهاية ..

مهما كان الثمن .

وبسرعة مذهلة ، وخلال الثانية الواحدة ، التى استغرقها هجوم مقاتلى (النينجا) ، درس عقل (أدهم) المدهش الموقف كله ، واستوعبه ..

ووضع خطته الدفاعية أيضًا ..

وهوى المقاتلان بسيفيهما ..

وبمرونة لا نظير لها ، مال (أدهم) يمينًا ، ثم يسارًا ، ووثب إلى أعلى ، ثم هبط على قدميه ، وألقى جسده أرضًا ، وتركه ينزلق فى خفة نحو الركن البعيد .

وبهذه الحركة المعقدة ، تفادى سيفى المقاتلين ، ودفع جسده نحو مسدسه ، الذى أطاح به سيف أحدهما إلى تلك الركن ..

وعندما انطلقت صرخة النصر ، من حنجرتى المقاتلين ، وهما ينقضان عليه بسيفيهما ، واثقين من أن سقوطه أرضًا يجعله حتمًا فريسة سهلة لهما ، اختطف هو مسدسه ، وانقلب على ظهره بسرعة مدهشة ، وهو يهتف :

- إنكما لم تتركا لي خيارًا آخر .

وقبل أن يحمى الرجلان عيونهما ، كانت رصاصات (أدهم) تخترق ما بينهما بدقة مدهشة ، وتطيح بالرجلين فى عنف ..

ولثانية أو ثانيتين ، ساد صمت رهيب فى المكان ، وكأنما لا يصدق (أدهم) أنه قد تغلب على هذين الوحشين ، ثم لم يلبث أن نهض من مكانه ، وأعاد مسدسه إلى غمده ، متمتمًا فى شىء من الأسف :

- لم يكن هناك مفرّ من مذبحة جديدة .

لم يكن يشعر بأدنى قدر من الفخر ، لاضطراره إلى إراقة كل هذا القدر من الدماء ، فى حربه هذه ، على الرغم من ثقته بحتمية ذلك ، مع مقاتلين من هذا الطراز ..

ولكن مشاعره نفضت أسفه بعيدًا كعادتها ، وهو يسرع نحو (جيهان) وينحنى لفحصها فى قلق بالغ ..

كانت تتنفس فى صعوبة ، ونبضها خافت ضعيف ، وبؤبؤ عينيها يستجيب فى صعوبة للضوء ، على نحو يوحى بأنها مصابة بتسمم فعلى ، وتحتاج إلى إسعاف عاجل ..

وبسرعة ، حملها (أدهم) بذراعيه ، وهو يغمغم متوترًا :

- اطمئنى يا زميلتى العزيزة .. ستحصلين بإذن الله (سبحانه وتعالى) على كل الرعاية الطبية الممكنة ، مهما كانت المصاعب .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى لمح الهليوكوبتر ، التى يستقلها (ناناسون) ، وهى تقترب من الشرفة ، وتحلق على مسافة أربعة أمتار منها بالتحديد ..

ومن بابها الأيسر ، بدا (ناناسون) واضحًا ، بزى (النينجا) الحالك السواد ، وهو يحمل على كتفه مدفعًا صاروخيًا ، يصوبه إلى المنزل مباشرة ، و ..

ويطلقه ..

* * *

تضاعف توتر (يوشيدا) ألف مرة ، وهو يدور فى حجرة مكتبه كالليث الحبيس ، قائلاً فى عصبية :

- لست أدرى ما الذى دفع (ناتاسون) الغبى هذا إلى إنهاء الاتصال ، ولكننى واثق من أنه سيقدم على عمل أخرق ، لا يريد منا أن نمنعه من فعله .

نفث (أوهارا) دخان سيجاره ، وهو يقول :

- هذا أخشى ما أخشاه أنا أيضا .

التفت إليه (يوشيدا) ، قائلا فى حدة :

- ما الذى يمكن أن يفعله فى رأيك ؟!

هز المحامى رأسه ، مغمغما :

- أى شىء !

عاد (يوشيدا) إلى ما خلف مكتبه ، وراح ينقر بأصابعه فى عصبية ، على السطح الزجاجى الجديد ، قبل أن يقول :

- يبدو أننا قد أخطأنا ، عندما أسندنا المهمة إلى هؤلاء السفاحين يا (أوهارا) .

أجابه (أوهارا) فى ضيق :

- إنهم الوحيدون ، الذين يمكنهم التصدى لرجل مثل (أدهم صبرى) يا (يوشيدا) سان .

قال الرجل فى غضب :

- ولكن على حساب سمعتنا وميزانيتنا .. هل نسى (ناتاسون) الحقير هذا أنه يركب طائرة تحمل اسم شركتى ؟! .. هل يحاول توريطى فى الأمر .

تنهد (أوهارا) ، قائلا :

- إنه خطؤنا يا (يوشيدا) سان .. ما كان ينبغى أن نسمح له باستخدام هليوكوبتر الشركة ، ولكن ..

قاطعه (يوشيدا) فى غضب :

- لا يوجد لكن .. لقد ارتكبنا أخطاء عديدة هذه المرة .. أخطاء تكفى لإفساد الأمر كله .. هل تعلم ما الذى يمكن أن يحدث ، لو علم موظفو الشركة أننا لم نخل الطابق العشرين لعمل بعض الصيانة والتطوير ، وأن الغرض الحقيقى لهذا هو أن نحوله إلى وكر لفريق من القتلة المحترفين .

نفث (أوهارا) دخان سيجاره ، قائلا :

- ليسوا مجرد فريق عادى يا (يوشيدا) سان .. إنهم ..

اختطف (يوشيدا) السيجار من بين شفتيه فى حركة حادة ، وألقاه بطول ذراعه حتى نهاية الحجرة ، وهو يصرخ :

- كف عن نفث الدخان كقاطرة قديمة تالفة .. إياك أن تفعل هذا مرة أخرى أمامى .

قفز المحامى من مقعده ، وأشار إليه بيده ، قائلا :

- رويدك يا (يوشيدا) سان .. رويدك .

صاح (يوشيدا) ، وهو يهب من مقعده بدوره ، ويلوى ذراعه اليسرى خلف ظهره ، ملوّحًا باليمنى فى عصبية شديدة ، متحركًا عبر الحجرة :

ـ كل شىء لا يسير على ما يرام هذه المرة .. كل شىء تعقد ، وتشابك ، وأصبح عسيرًا مرهقًا .. كل شىء .

ازدرد المحامى لعابه فى صعوبة ، وتمتم :

ـ معذرة يا (يوشيدا) سان ، ولكن لو أنك لم تطلق النار بنفسك ، على الصحفى (موكيتا) ، لما اضطررنا لـ ....

قاطعه (يوشيدا) فى حدة :

ـ أعلم هذا يا رجل .. لا داعى لتكراره .

وانعقد حاجباه فى شدة وغضب ، وهو يعود إلى مقعده ، مستطردًا :

ـ أعلم أننى المسئول الأول عن كل هذا ، ولكننى لم أكن أتوقع أن تتعقد الأمور إلى هذا الحد ، وأن نضطر لشن حرب شعواء فى قلب (طوكيو) ، للقضاء على رجل واحد .

تنهد (أوهارا) فى عمق ، وهو يتطلع إليه فى صمت ، ثم ازدرد لعابه فى صعوبة ، وغمغم :

ـ من يدرى يا (يوشيدا) سان ، ربما تضع تلك الحرب أوزارها الليلة ، ونغلق هذه القضية إلى الأبد .

انعقد حاجبا (يوشيدا) أكثر وأكثر ، ولكن السؤال دوى فى أعمق أعماقه ، حاملاً آخر لمحة أمل فى كيانه .

نعم .. من يدرى ؟!

ربما ..

★ ★ ★

لم يكد (أدهم) يلمح ذلك المدفع الصاروخى ، الموجّه إليه مباشرة ، حتى اشتعلت حواسه كلها ، وشُحذت قدراته المتفوقة ، وأطلق عقله إشارة الحركة ، دون إضاعة جزء من ألف جزء من الثانية ..

وبكل قوته ، انطلق (أدهم) يعدو مبتعدًا ، حاملاً زميلته (جيهان) ، وانحرف إلى اليسار ، نحو باب الشقة ، فى اللحظة نفسها التى انطلق فيها الصاروخ ، وعبر الشرفة إلى الجدار المواجه فى الشقة ..

وانفجر ..

كان انفجارًا عنيفًا قويًا ، اندلعت منه ألسنة لهب رهيبة ، تجاوزت الشرفة إلى الخارج ، فى مشهد مخيف ، فى حين انطلقت موجتها التضاغطية فى كل

اتجاه ، لتدفع (أدهم) و (جيهان) أمامها ثلاثة أمتار كاملة ، نحو باب الشقة ..

وبكل ما يملك من قوة ومرونة ، مال (أدهم) بجسده ، ليحمي جسد (جيهان) ، قبل أن يرتطم بباب الشقة بكتفه ، ويحطمه ، ويسقط معها خارجه ..

وقبل أن يطلق (ناتاسون) صاروخا آخر ، هب (أدهم) واقفا ، وحمل (جيهان) ، وانطلق يعدو مبتعدا عن المكان ، وسط الظلام الدامس ..

ومن خلفه ، دوى انفجار آخر ..

وتساءل (أدهم) في دهشة : كيف أن الرصاصات والانفجارات لم تصنع موجة ذعر وفزع رهيبة ، تدفع كل سكان المبنى لمغادرته ؟!..

أم أن مقاتلي (النينجا) قد أخلوا المبنى من كل قاطنيه ، فيما عداه ، و (جيهان) ؟!..

ولم يتوقف طويلا ليتساءل ، وإنما راح يتلمس طريقه وسط الظلام ، في محاولة للبحث عن مخرج ، من هذا المأزق المخيف ، و ...

وفجأة ، التقطت أذناه الحساستان وقع أقدام تقترب منه ..

وتجمد في مكانه تماما ..

كان من الواضح أن شخصين أو ثلاثة يتجهون نحو البقعة ، التي يقف فيها ، في خفة وحذر ، يوحيان بأنه يستهدف القيام بعمل مباغت ..

شيء آخر أقلقه في وقع الأقدام ..

إنه يوحي بأن أصحابه يتحركون في ثقة ووضوح ، على الرغم من الظلام الدامس ..

وهذا يعني أنهم يرون طريقهم وسط الظلام ..

وأنهم يرتدون مناظير خاصة ، للرؤية بالأشعة دون الحمراء ..

وتجمد (أدهم) في مكانه أكثر ، وأكثر ، والتصق بالجدار ، وهو يرهف سمعه ؛ لتحديد وقع الأقدام ، التي تقترب أكثر وأكثر ..

حتى أصبح على قيد ثلاثة أمتار منه فحسب ..

ثم صك مسامعه صليل سيف ينتزع من غمده بحركة عنيفة ، تشف عن تأهب صاحبه للقتال ..

ولم يعد لديه أدنى شك في أنه يواجه اثنين أو ثلاثة من مقاتلي (النينجا) ..

وسط الظلام الدامس .

* * *

٩ - الظلام ..

ارتسمت ابتسامة كبيرة على شفتي ممرضة العلاج الطبيعى ، فى مستشفى القوات المسلحة فى (المعادى) ، وهى تعاون (منى) على العودة إلى حجرتها ، قائلة :

- تقدُّم رائع يا آنسة (منى) ، لو واصلت المران بهذا الحماس لشهر آخر ، سيمكنك العودة إلى عملك فى نصف الوقت المتوقَّع .

ارتسمت ابتسامة حزينة على شفتى (منى) ، وهى تغمغم :

- العودة إلى عملى ليس بالسهولة التى تتصوَّرينها .

أجابتها الممرضة فى حماس :

- ولم لا ؟!.. ألست خبيرة كمبيوتر ، فى شركة (مصر) للسياحة ، كما تقول بطاقتك ؟!

أومأت (منى) برأسها إيجابًا ، وهى ترقد على فراشها ، متمتمة فى حزن :

- نعم ، ولكن لدى بعض الأعمال الإضافية .

ربَّتت الممرضة على كتفها ، قائلة فى تعاطف :

- لا داعى للأعمال الإضافية فى هذه المرحلة .. يكفيك العودة إلى عملك الأساسى فحسب ، والكمبيوتر لا يحتاج إلى بطلة رياضية .. أليس كذلك ؟!

شعرت (منى) بغصة فى حلقها ، وهى تجيب فى خفوت :

- بلى .

تأكدت الممرضة من أن كل شىء على ما يرام ، قبل أن تبتسم فى وجهها ، قائلة فى حنان :

- هيا .. لا تفقدى حماسك الآن .. ابذلى قصارى جهدك للعودة إلى العمل ، ولنؤجِّل النشاط الزائد لما بعد .

أومأت (منى) برأسها متفهمة فى صمت ، ولم تكد الممرضة تغادر الحجرة ؛ حتى سمحت لدمعة حبيسة بالانهمار على وجنتيها ، متمتمة :

- آه لو تعلمين كم يحتاج عملى الحقيقى إلى النشاط الزائد .

وتراجعت لتسند رأسها إلى الوسادة ، والدموع تغرق عينيها ، وعقلها يسبح بعيدًا ..

بعيدًا ..

مع (أدهم) ..

شيء ما في أعماقها أنبأها أنه يواجه خطرا داهما هناك ..

في قلب (طوكيو) ..

خطر يفوق قدراته المدهشة ..

ولم تدر لماذا ينقبض قلبها بشدة هذه المرة ؟!..

أهي غريزة المرأة ، التي يمكنها اختراق الزمان والمكان ، والشعور بالمخاطر ؟!..

أم أنه قلبها المحب ، الذي ارتبط بمن أحب ، وتعلق به ، فصار بينهما رباط لا ينفصم ، تنتقل عبره المشاعر والأحاسيس ، مهما تباعدا وافترقا ؟!

أو هي مجرد مخاوف نفسية ، لا أساس لها من الصحة ، وتستند فقط إلى تجاربها وخبراتها السابقة ، في عملياتها المشتركة ؟!..

استعرض عقلها الاحتمالات الثلاثة ، قبل أن يطرح احتمالا رابعا ، اعتصر قلبها ، ودفع بغصة مريرة إلى حلقها ..

أن يكون المبعث الحقيقي لقلقها هو وجود (جيهان) إلى جواره ..

(جيهان) بكل جمالها ، وسحرها ، وفتنتها ، وجرأتها ..

وحبها لـ (أدهم) ..

النقطة الأخيرة وحدها أشعلت النيران في قلبها ، وضاعفت غصة حلقها ، حتى كادت تختنق بها ، وهي تتمتم :

- رباه !.. أما من نهاية لهذا العذاب ؟!

لم تكد تنطق العبارة ، حتى سمعت دقات على باب حجرتها ، مصحوبة بصوت (قدري) ، وهو يتنحنح ، قائلا :

- هل تسمح لي أميرة الكون بالدخول ؟

أسرعت تمسح دموعها ، وترسم على شفتيها ابتسامة باهتة ، وهي تقول :

- بالطبع يا (قدري) .. تفضل .

دلف إلى الحجرة ، وهو يحمل لفافة كبيرة ، ويهتف في حماس :

- أخيرا ، وجدت العلاج المناسب لهذا الضعف والشحوب .

أطلقت ضحكة مقتضبة ، قائلة :

- أراهن على أنها بعض الفطائر الدسمة .

قهقه ضاحكا ، وهو يضع اللفافة إلى جوارها ، ويقول :

- ربحت .

وحلّ اللفافة ، مستطردًا فى حماس :

ـ ماذا تفضلين ؟!.. شطائر اللحم البارد ، أم الكبد ، أم ...

قاطعته بصوت مرتجف :

ـ هل من أخبار عن (أدهم) ؟!

تجمّدت يده ، قبل أن تلتقط الشطائر ، وخُيّل إليها أنه قد فقد شهيته بغتة ، وهو يتراجع ؛ ليلقى جسده الضخم على أقرب مقعد إليه ، قبل أن يطلق من أعمق أعماقه زفرة ملتهبة ، ويقول :

ـ مندوبنا فى (طوكيو) التقى به بالفعل ، وسلّمه كل متعلقاته ، حتى يمكنه أن يقاتل فى أمان ، باسم المخابرات المصرية ، وتحت رعايتها وعنايتها ، ولكن التقارير الواردة من هناك تثير القلق .

اعتدلت فى مجلسها ، وهى تسأله باضطراب :

ـ كيف ؟!

تنهّد مرة أخرى ، وأجاب :

ـ المعلومات التى جمعها رجالنا هناك ، تؤكّد أن (فاكو يوشيدا) لا يمتلك مقاتلين من ذلك الطراز ، الذى قام بمذبحة السفارة ، ومن المؤكد أنه استعان بعدد من مقاتلى (النينجا) ، الذين تم تدريبهم وإعدادهم على أعلى مستوى ، وتزويدهم بأحدث الوسائل والأسلحة .

سألته فى قلق شديد :

ـ ومن أين أتى بمثلهم ؟!

مطّ شفتيه ، وهو يبذل جهدًا حقيقيًا للاسترخاء فى مقعده الصغير ، قبل أن يجيب :

ـ المفترض أن هذه المعلومات بالغة السرية ، ولكنهم فى الإدارة يمنحوننى كل ثقتهم ، ويدركون أن كل ما يتعلق بـ (أدهم) يهمنى بشدة ، لذا فقد أخبرونى أن الشخص الوحيد ، الذى يهتمّ بإعداد مقاتلين من هذا الطراز ، هو خبير قتال قديم ، يُدعى (ناتاسون) ، كان يعمل فى السابق كحارس خاص ، لأحد كبار رجال الأعمال ، ثم اشترك لبعض الوقت مع (الياكوزا) اليابانية ، قبل أن يختفى تمامًا ، ويفقد الجميع أثره ، لأكثر من ربع القرن ، وتتردد فى أوساط الجريمة المنظمة شائعة قوية ، تقول : إنه يقود ويتزعم فريقًا من المقاتلين الأفذاذ ، الذين يحيون روح (النينجا) القديمة ، ويستخدم لتنفيذ عمليات الاغتيال الصعبة ، وعملية حماية كبار زعماء الجريمة والمليارديرات ، ولكن أحدًا لا يعلم أين ولا كيف يفعل هذا ، إلا أنهم يتفقون على أن المقاتل الواحد فى فريقه ، قادر على هزيمة دستة من المقاتلين العاديين .

اتسعت عينا (منى) فى ارتياع ، وهى تتمتم :

- يا إلهى !.. إلى هذا الحد ؟!

هزّ (قدرى) رأسه فى مرارة ، وعضّ شفته السفلى فى ألم ، وهو يتمتم :

- المخيف فى الأمر أن أسلوب إعداد مقاتل (النينجا) ، هو أن يتمّ تدريبه منذ نعومة أظفاره ، تمامًا مثلما حدث مع (أدهم) ، وهذا يعنى أن قدرات هؤلاء المقاتلين لا تقلّ كثيرًا عن قدراته ، ولو وضعنا عددهم فى الاعتبار ، فسيعنى هذا أن فرصة (أدهم) فى الانتصار عليهم ضئيلة هذه المرة .. ضئيلة للغاية .

اتسعت عينا (منى) فى ارتياع أكثر وأكثر ، وران على الحجرة صمت رهيب ، لم يقطعه أحدهما لفترة طويلة ..

أما الشطائر ، فقد بقيت على حالها ، دون أن تنقص قضمة واحدة ..

على الرغم من وجود (قدرى) ..

★ ★ ★

موجة عنيفة من التوتر سرت فى جسد (أدهم) ، وهو يحمل (جيهان) بذراعيه ، ويحبس أنفاسه ،

ويلتصق بالجدار ، فى انتظار هجوم يجهل أصحابه ومصدره ..

وتسارع وقع الأقدام ، وهى تقترب منه ، مع صليل السيوف ..

ثم عبرت أمامه ..

وتجاوزته ..

وارتفع حاجباه فى دهشة بالغة ، وهو يدير رأسه دون أن يرى ، إلى موضع حركة الأقدام ، التى تجاوزته بمسافة كبيرة نسبيًا ، وأصحابها يحثّون الخطى ، فى اتجاه الشقة التى غادرها منذ لحظات ، وكأنهم يسعون نحوه بالتحديد ..

وتحرك (أدهم) فى خفة ، وظهره ملتصق بالجدار ، وهو واثق من أنه سيجد بروزًا كبيرًا فى مواجهته ..

ذلك البروز ، الذى حجبه عن مقاتلى (النينجا) الثلاثة ، ومنحه فرصة أخرى للبقاء ..

وفجأة ، وقبل أن يبلغ ذلك البروز ، شعر بوجود باب خشبى خلف ظهره ، وبمقبضه البارد فى جنبه الأيسر .

وبسرعة ، استدار (أدهم) بحمله ، وأدار المقبض ، ودفع جسده عبر الباب ، قبل أن يغلقه خلفه فى حذر وسرعة ، ويلتقط نفسًا عميقًا ..



ودون أن يرى طريقه ، راح يهبط بحمله فى درجات السلم ، بقفزات أقرب إلى العدو ..

إنه سلم الطوارئ ولا شك ..

وسيلة الفرار الوحيدة من المكان ، فى الوقت الحالى .

ودون أن يرى طريقه ، راح يهبط بحمله فى درجات السلم ، بقفزات أقرب إلى العدو ، محاولاً بلوغ الطابق الأرضى ، حيث مرأب السيارات ..

وفى اللحظة نفسها ، كان (ناتاسون) يتلقى رسالة لاسلكية ، عبر الموجة المحدودة ، من أحد مقاتليه الثلاثة ، الذين بلغوا الشقة ، وهو يقول فى غضب ، لم يستطع كتمانه فى أعماقه :

- كنت على حق يا (ناتاسون) سان .. المصرى وزميلته قتلا كل رفاقنا .

لم يبد على (ناتاسون) غضب مماثل ، وهو يسأله :

- وكيف فعلا هذا ؟

غمغم طيّار الهليوكوبتر ، فى شىء من الضيق :

- ربما قتلتهم أنت ، بقذائفك الصاروخية .

أشار إليه (ناتاسون) بالصمت فى صرامة ، وهو يستمع إلى مقاتله ، الذى أجاب فى حنق :

- كلهم برصاصات مباشرة بين عيونهم .

انعقد حاجبا (ناتاسون) ، وهو يقول فى غضب هادر :

- اللعنة !

سأله طيّار الهليوكوبتر فى دهشة ، وهو يدور بالطائرة حول المبنى :

- هل كنت تعلم أنهم صرعى ، قبل أن تطلق صواريخك ؟

أجابه (ناتاسون) فى حدة :

- بالطبع أيها الغبى .. لقد كان ذلك المصرى يفحص زميلته ، وهذا يعنى أن القتال قد توقف ، ومقاتلو (ناتاسون) لا يتوقفون عن القتال إلا فى حالتين لا ثالث لهما ..

واكتسى صوته بصرامة مخيفة ، وهو يكمل :

- النصر أو الموت .

سرت قشعريرة باردة فى جسد الطيّار ، ولاذ بالصمت فى رهبة ، فى حين سأل (ناتاسون) مقاتله ، عبر الدائرة اللاسلكية المغلقة :

- هل ترى جثتى الرجل وزميلته حولك ؟

أجابه المقاتل فى سرعة :

- لا يوجد أدنى أثر لهما .

صرخ (ناتاسون) فى غضب :

- ماذا تقول ؟! ولكن هذا مستحيل .. افحصوا المكان جيدًا .. ربما أصابهما صاروخى مباشرة ، ومزّقهما إربًا .

أجابه المقاتل :

- لا توجد أية أشلاء هنا يا (ناتاسون) سان .

خُيّل للطيّار أن (ناتاسون) سيشتعل غضبًا فى لحظات ، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر الصغير أمامه ، فى عصبية بالغة ، قائلًا :

- اللعنة !.. اللعنة !.. أين ذهبا إذن ؟!

ارتسم على شاشة الكمبيوتر رسم هندسى للطابق الثانى عشر من المبنى ، جال (ناتاسون) بعينيه فيه بضع لحظات ، فى نفس اللحظة ، التى ارتفع فيها صوت (فاكو يوشيدا) ، عبر جهاز اللاسلكى الأساسى للطائرة ، قائلًا :

- هنا (يوشيدا) سان .. عد إلى الشركة مباشرة .. هل تسمعنى أيها الطيّار .. عد إلى الشركة فورًا .

همّ الطيّار بالرد ، ولكن (ناتاسون) أطلق زمجرة مخيفة ، وهو ينقضّ على جهاز اللاسلكى ، ويضغط زره ، قائلًا فى شراسة :

- لا يمكننا العودة الآن .

صاح به (يوشيدا) فى حدة :

- لا تكابر ، وأطع أوامرى يا (ناتاسون) .. (فوجى ياما) أبلغنا الآن أنه لا يستطيع السيطرة على الموقف ، وأن وزير الداخلية شخصيًا يقود فريقًا من الشرطة ، فى طريقه إليكم ، بعد الهرج الذى أحدثتموه فى المنطقة ، والانفجارات التى سمعنا دويها من هنا .. عد يا رجل ، قبل أن يتحوّل الأمر إلى كارثة .

انعقد حاجبا (ناتاسون) فى صرامة ، قائلاً :

- قلت : لا يمكننا العودة الآن .

قالها ، وقطع الاتصال بحركة حادة ، ارتفع لها حاجبا الطيّار فى انزعاج ، وهتف معها مذعورًا :

- لا يمكنك أن تفعل هذا يا رجل .. طاعة أوامر (بوشيدا) سان حتمية ، وإلا نالنا منه الكثير من الأذى .

رمقه (ناتاسون) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

- لا تتحدث عن الأذى يا رجل .

ثم استدار بحركة حادة ، وركل الرجل بكل قوته ، صائحًا :

- فسينالك منى ما هو أكثر فداحة .

كانت الضربة عنيفة جدًا ، حتى إنها اقتلعت الطيّار من مكانه ، على الرغم من حزام الأمان ، الذى يربطه إلى مقعده ، والذى تمزّق فى قوة ، قبل أن يرتطم

الرجل بباب الهليوكوبتر المجاور ، ويدفعه أمامه ، وهو يطير خارجها ، مطلقًا صرخة ألم وذعر ، تواصلت طوال سقوطه المريع ، ولم يقطعها سوى ارتطامه الرهيب بالأرض وتمزّقه تمامًا ..

ودون أن يبالى بما حدث ، أو يلتفت حتى إليه ، احتلّ (ناتاسون) مقعد القيادة ، وسيطر على الهليوكوبتر ببراعة المحترفين ، وهو يهتف برجاله ، عبر الدائرة اللاسلكية المغلقة :

- لا يوجد سوى مخرج واحد ، ما دام لم يلق مصرعه مع زميلته فى الشقة ، ومادمتم لم تلتقوا به ، فى طريقكم إليها .

وأشار بسبّابته إلى الرسم الهندسى ، مستطردًا فى حزم صارم :

- سلم الطوارئ .

وازداد انعقاد حاجبيه فى شدة ، حتى بدا أشبه بشيطان حقيقى ، وهو يقول فى غضب :

- اثأروا لرفاقكم .. اظفروا بذلك الرجل .. مهما كان الثمن .

ولم يضع مقاتلوه لحظة واحدة ..

لقد انطلقوا خلف (أدهم) ، وهم يجرون اتصالهم برفيقيهما أسفل المبنى ، حتى يضعوه بين المطرقة والسندان ..

ويظفروا به ..

صريعًا ..

★ ★ ★

« مجنون (ناتاسون) هذا .. مجنون .. مجنون .. »

صاح (يوشيدا) بالعبارة فى ثورة ، وهو يلوّح بذراعيه فى الهواء ، على نحو لم يعهده عليه (أوهارا) من قبل قط ، وراح يقطع حجرة مكتبه الواسعة فى خطوات عصبية غاضبة ، مستطردًا :

ـ إنه يستخدم هليوكوبتر الشركة ؛ ليصنع أكبر ضجة شهدتها المدينة ، منذ الحرب العالمية الثانية ، دون أدنى قدر من الاهتمام ، أو الإحساس بالمسئولية .

ازدرد المحامى لعابه ، مغمغمًا :

ـ (ناتاسون) فنان فى مجاله يا (يوشيدا) سان ، وكل الفنانين لهم جموحهم وجنونهم ، و ...

قاطعه (يوشيدا) فى ثورة :

ـ فليذهب بفنه إلى الجحيم .. لو أنه فنان ، فأنا رجل أعمال ، ولا مجال للجموح أو الجنون فى عالم رجال المال والأعمال .

قال (أوهارا) فى حذر :

ـ ولكن رجال المال والأعمال يحتاجون حتمًا لرجال مثل (ناتاسون) ، عندما تتعرّض بعض صفقاتهم للخطر .

صرخ (يوشيدا) :

ـ قلت لك : فليذهب إلى الجحيم .. أنا لم أعد أحتمل كل هذا .. لقد فعلت ما فعلته ، لأحمى نفسى من القلق والفضائح ، لا لكى أخلقها خلقًا .

ولوّح بذراعه فى ثورة ، مستطردًا :

ـ أراهنك على أن نصف (طوكيو) شاهدت الآن هليوكوبتر شركة (يوشيدا) ، وهى تطلق الصواريخ على مبنى سكنى ، فى قلب المدينة .. هل يمكنك شراء مليونى شاهد ؟!.. هل يمكنك إقناع نصف المدينة بكتمان شهادتهم ، مهما بلغت براعتك كمحام ؟!

انعقد حاجبا المحامى ، وبدت له عبارة (يوشيدا) أشبه بالتحدّى الشخصى ، فقال فى حزم :

ـ لا توجد مشكلة بلا حل يا (يوشيدا) سان .

صاح فيه (يوشيدا) :

ـ وما الحل هذه المرة أيها العبقرى ؟!.. كيف يمكنك أن تجد مخرجًا قانونيًا من كل هذا ؟!

ردد (أوهارا) فى حزم أكثر :

- كل مشكلة لها حل قانونى ..

ثم تألقت عيناه ، وهو يضيف فى سرعة :

- أو غير قانونى .

حدق (يوشيدا) فى وجهه ، وهمّ بقول شىء ما ، إلا أن المحامى تابع فى حماس ، وهو يتحرك فى نشاط مباغت :

- اتصل برئيس الأمن يا (يوشيدا) سان ، واطلب منه الحضور إلى هنا على الفور ، وأرسل فى إحضار أفضل مهندس كمبيوتر وإليكترونيات لديك .. انتزعه من فراشه لو اقتضى الأمر ، ولكن دعه يصل إلى مكتبك فى خلال نصف الساعة على الأكثر .

قالها ، وهو يلتقط سيجارًا من العلبة الذهبية ، ويشعله بالقدّاحة الماسية فى انفعال ، فلوّح (يوشيدا) بسبابته فى وجهه ، صائحًا :

- (أوهارا) .. كنت قد حذّرتك ..

نفث المحامى الدخان فى قوة ، وهو يشير إليه بيده ، قائلًا :

- انس أنك قد فعلت يا (يوشيدا) سان ، فلا يمكننى التفكير فى عمق ، إلا وأنا أدخن سيجارًا فاخرًا .

ثم التقط سماعة الهاتف ، وغمز بعينه ، مستطردًا فى مرح مباغت :

- خاصة ما لم أدفع ثمنه .

وضرب أزرار الهاتف ، وهو يبتسم ابتسامة كبيرة ، مضيفًا :

- ألم أقل لك يا (يوشيدا) سان ؟!.. لكل مشكلة حل .

قالها ، وأطلق ضحكة طويلة خبيثة .. ممطوطة .. ضحكة شيطان ..

* * *

أين المفرّ ؟!..

دار السؤال فى خلد (أدهم) ، وهو يهبط فى درجات سلم المبنى فى سرعة ، حاملًا (جيهان) ، التى انخفض نبضها أكثر ، وتلاحقت أنفاسها كاللهاث ، وكأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة ، وسط الظلام الدامس ، المحيط بهما من كل جانب ، والذى بدا كحاجز أسود هائل ، يضيف إلى الموقف توترًا جديدًا عنيفًا ..

لقد درس المبنى كله كعادته ، عندما كشف أمر جهاز التتبُّع ، واتخذ قراره بأن يجعله ساحة المعركة التالية .

ولكنه لم يتوقع أبدًا أن يتحرك داخله على هذا النحو .

ولا فى تلك الظروف ..
أشياء كثيرة خالفت توقعاته هذه المرة ..
وأولها قوة خصومة ..
إنه لم يلتق فى حياته كلها ، بمن هم أكثر قوة ومهارة ..
ولم يكن أبدا بمثل هذا التعب والإجهاد ..
مدير المخابرات فى (القاهرة) كان على حق ، عندما حاول منعه من السفر ، بحجة أنه لم يستعد لياقته ، ولم يتجاوز فترة النقاهة بعد ..
ها هو ذا يلهث فى شدة ، وهو يهبط فى درجات السلم ، حاملا جسد (جيهان) ، وآلام صدره وفخذه تتصاعد إلى رأسه فى عنف ، وتسبب له دوارًا ، يحتاج إلى جهد إضافى ، وإرادة فولاذية لمقاومته ..
وياله من توافق !..
مقاتل فى أضعف أحواله ، يواجه خصومًا من أقوى من عرف ..
ولكن هذه المواجهة كانت ضرورية بالتأكيد ..
على الأقل أمكنه أن يعرف قدرة خصومه وقوتهم ، حتى يتخذ الأهبة لمواجهتهم فى المرة القادمة ..
لو كانت هناك مرة قادمة ..

تنفس الصعداء ، وهو يضع قدمه على أرض الطابق السفلى ، وشعر بآلام رهيبة فى صدره وذراعيه ، إلا أنه لم يتوقف ، وإنما واصل السير ، وهو يتحسس طريقه فى حذر ، متجها نحو المرأب ، حيث تركت (جيهان) سيارة رياضية جديدة ..
كانت أنفاسها اللاهثة تتردد فى أذنيه ، لتعلنه أن ساعاتها فى الحياة أصبحت محدودة ، ما لم يصل بها إلى أقرب مركز طبى ، بأسرع وسيلة ممكنة ..
وهو واثق من أن هذا لن يكون سهلاً أبدا ..
لا ريب فى أن هؤلاء (النينجا) قد استعدوا لمنع هروبه ، وأغلقوا كل مخارج ومداخل المبنى ..
ولكن هذا لن يؤرقه ..
إنها ليست أول مرة يحاصره فيها خصومه ..
ولا أول مرة يواجه فيها الخطر ..
إنه يذكر أن سيارة (جيهان) الجديدة كانت ثالث سيارة ، بالقرب من مصعد المرآب ..
وسيبذل قصارى جهده للوصول إليها ..
كان يتحرك فى بطء ، دون أن يدرك أنه هناك عينان صارمتان ، تتابعان حركته فى يقظة ودقة ، من خلف منظار خاص بالرؤية الليلية ..

عينا واحد من مقاتلى (النينجا) ، وقف عند مدخل المرأب ، محدقًا فيه ، وقد انعقد حاجباه ، وأطلّ من عينيه غضب الدنيا كلها ..

لقد أبلغه رفاقه منذ لحظات ، أن هذا المصرى قد قتل خمسة من رفاقه ..

وقواعد (النينجا) لا تسمح بالإبقاء على من فعل هذا ..

لابد وأن يدفع حياته ، ثمنًا لإراقة قطرة دم واحدة ، من واحد من مقاتلى (ناتاسون) ..

وفى بطء وحذر ، ودون أن يصدر عنه أدنى صوت ، سحب مقاتل (النينجا) سيفه من غمده ، وثبت سلسلة المقبض إلى مسدسه ، ثم تحرك فى خطوات مدروسة نحو (أدهم) ..

كان الظلام يخيّم على المنطقة كلها ، و (أدهم) يتحرك فى حذر ، متحسسًا طريقه إلى المرأب .

واقترب منه مقاتل (النينجا) فى خفة ..

واقترب ..

واقترب ..

ولأن الرجل محترف بحق ، لم يشعر (أدهم) باقترابه قط ..

وعندما أصبح مقاتل (النينجا) على مسافة مترين فحسب من (أدهم) ، انعقد حاجباه أكثر وأكثر ، وأمسك مقبض سيفه بقبضته فى قوة ، ورفعه عاليًا فى بطء ..

ثم هوى به بكل قوته ..

على رأس (أدهم) مباشرة .

* * *



١٠ - الضربة ..

طالع مدير المخابرات المصرية للمرة الثانية ، البرقية الشفرية الواردة على الفور من (طوكيو) ، قبل أن يتراجع فى مقعده ، ويهز رأسه ، قائلاً :

- إذن فقد أشعل (ن - ١) حربًا أخرى فى العاصمة اليابانية ، ولم تمض بعد ساعات محدودة ، على وصوله إلى هناك !!

وتنهّد فى عمق ، مستطردًا :

- كم يدهشنى هذا الرجل .. ألا يهدأ أبدًا ؟!

أجابه مساعده فى اهتمام واضح :

- مندوبنا يقول : إن الأمر عنيف هذه المرة ، و (فاكو يوشيدا) تدخل على نحو سافر ، مستخدمًا الهليوكوبتر الخاصة بشركته الرئيسية ، والتى أطلق أحد ركابها قذيفتين صاروخيتين نحو الشقة ، التى استأجرها سيادة العميد (أدهم) احتياطيًا .

عقد مدير المخابرات حاجبيه فى شدة ، وصنع من سبابته وإبهامه زاوية قائمة ، أسند إليها ذقنه وجانب وجهه ، وهو يفكر فى عمق ، مغمغمًا :

- عجبًا !!.. تدخل (فايكو يوشيدا) بهذا الوضوح يثير الدهشة بحق ؛ فمهما بلغت صلاته واتصالاته ، لا يمكنه أن يحصل على أية معاونة أو تأييد ، فى موقف كهذا .

قال مساعده :

- ربما لم يعد يعنيه الأمر .

هزّ المدير رأسه نفيًا ، وقال فى حزم :

- مستحيل !.. إنه يفعل كل هذا للتستر على جريمته ، ولن يسعى لتوريط نفسه أكثر وأكثر .

وعاد إلى تفكيره العميق بضع لحظات ، قبل أن يتابع :

- الأرجح أن أحدهم ورّطه فى هذا ، على الرغم منه ، أو أن الأمور قد خرجت من بين أصابعه ، بشكل أو بآخر .

تردّد المساعد لحظة ، ثم قال :

- ولكن هذا لا يتفق مع شخصية (يوشيدا) .

أشار المدير بسبابته ، قائلاً :

- ولكنه يتفق مع شخصية (ناتاسون) ، لو أنه هو الذى يدير الأمر ، كما قدّر خبراؤنا .

تنهّد المساعد ، وقال :

- لو أن تقديرهم صحيح ، فسأشعر بقلق حقيقى على سيادة العميد (أدهم) هذه المرة .

مطّ المدير شفتيه ، وقال :

- أنا أتفق معك فى هذا ، خاصة وأن الحالة الصحية لـ (ن ــ ١) ، ليست على ما يرام ، ومواجهته لمقاتلين بهذه الكفاءة سيكون عنيفًا للغاية ، وغير مأمون العواقب .

قلب المساعد كفيه ، مغمغمًا :

- وما الذى يمكننا أن نفعله فى هذا الشأن يا سيّدى ؟!

هزّ المدير رأسه ، قائلاً :

- عندما يسيطر العناد على رأس (ن ــ ١) ، فلن تجد أمامك ما تفعله ، سوى أن تقف إلى جواره .

وتنهّد فى عمق ، قبل أن يتابع :

- لذا فالأفضل أن تبرق إلى (وصفى) فى (طوكيو) ، وتبلغه بضرورة أن يكون على أهبة الاستعداد للتدخل رسميًا ، باعتباره موظفًا بالقنصلية المصرية ، إذا ما دعت الأمور إلى هذا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى توتر ملحوظ :

- وإذا ظلّ (أدهم) على قيد الحياة ، بعد هذه المواجهة ..

صدقت أيها المدير ..

إذا ما ظلّ على قيد الحياة ..

إذا ..

* * *

هل جرّبت مرة أن تسير فى ظلام دامس لفترة طويلة ؟!

لو أنك فعلت ، فستلاحظ أن توقّف استخدام حاسة البصر يشحذ كل الحواس الأخرى ، ويجعلها مرهفة ، شديدة الحساسية ، وقادرة على التقاط مؤثرات ضعيفة ، لا يمكن أن تنتبه إليها فى الظروف العادية ..

وهذا ما حدث ، فى حالتنا هذه ..

لقد كان (أدهم) يسير وسط الظلام الدامس ، فى حذر وانتباه كاملين ، عندما رفع مقاتل (النينجا) سيفه بقبضتيه ، وهوى به على رأسه مباشرة ..

والتقطت أذنا (أدهم) صوت النصل الحاد ، وهو يشق الهواء نحو رأسه ..

وجاء رد فعله مذهلاً كالمعتاد ..

لقد فهم الموقف فى جزء من عشرة أجزاء من الثانية ..

وتراجع فى الأجزاء الثلاثة التالية ، وهو يميل جانبًا فى سرعة مدهشة ، محاولاً حماية جسد (جيهان) ..

وتجاوز السيف رأسه بسنتيمتر واحد ، ولكنه أصاب بذبابته صدره ، ومزّق سترته ، وقميصه ، وجزءًا من عضلات الصدر القوية ..

وبسرعة مذهلة أيضًا ، دار مقاتل (النينجا) حول نفسه ، وركل ساقى (أدهم) ركلة قوية ، أفقدت بطلنا توازنه ، وطار جسده فى الهواء ، ليسقط على ظهره ، ويرتطم بالأرض فى عنف ..

وانقضّ مقاتل (النينجا) ثانية ..

وعلى الرغم من أن (أدهم) لم يكن يرى شيئًا ، إلا أنه دفع جسد (جيهان) بعيدًا ، ووثب واقفًا على قدميه ، وقفز إلى الخلف ، محاولا تفادى انقضاضة الرجل ، اعتمادًا على وقع قدميه فحسب ..

وهوى سيف (النينجا) ثانية فى الفراغ ، ولكن هذا أحنق المقاتل ، فوثب إلى أعلى ، وضرب (أدهم) بقدميه فى صدره ، فدفعه قرابة المترين إلى الخلف ، ليسقط على ظهره ثانية فى قوة وعنف ..

وأدرك (أدهم) أن القتال على هذا النحو ، لن ينتهى لصالحه قط ..

إنه يواجه خصمًا لا يشقّ له غبار ..

خصم يرى ما لا يراه هو ..

ويمتلك ما لا يمتلكه ..

يمتلك دروعًا واقية من الرصاصات ، تحيط بجسده كله ، فيما عدا عينيه ، اللتين تختفيان خلف منظار مجهّز للرؤية الليلية ..

باختصار ، كان الأمر أشبه بقتال حتى الموت ، فى حلبة مصارعة رومانية قديمة ، بين أسد جائع شرس ، ورجل أعمى ..

وللمرة الثالثة ، انقضّ مقاتل (النينجا) ..

وفى هذه المرة ، كان ينقض بالأسلوب الأمثل ، الذى درّبه عليه معلّمه خبير القتال (ناتاسون) ..

انقضاضة مباشرة ، والسيف فوق رأسه ، مع القفز على أطراف الأصابع فى خفة ، وحصار الخصم من الجانبين ، والاستعداد لأية تحركات مفاجئة منه ..

انقضاضة لا يمكن أن تنتهى إلا بنتيجة واحدة ..

مصرع الخصم ..

وبلا أدنى شك ..

وبسرعة البرق ، درس عقل (أدهم) هذا الموقف الدقيق ..



وأطلق رصاصته الثانية .. كانت الرصاصتان متعاقبتين ، بسرعة توحى بأنهما انطلقتا دون هدف محدود ..

وبسرعة أكبر ، استلّ مسدسه من غمده ، وأطلق النار ..

كان واثقًا من أن رصاصته الأولى لن تفيد ، حتى ولو أصابت جسد خصمه ، ولكن كل ما أراده منها هو أن تبعث فى المكان شرارة من الضوء الخافت ، لجزء من الثانية ..

وعندما انبعثت الشرارة المنشودة ، من فوهة المسدس ، وعلى ضوئها شديد الخفوت ، لمح (أدهم) خصمه ، وحدّد موقعه ، وعنف انقضاضته ، و ...

وأطلق رصاصته الثانية ..

كانت الرصاصتان متعاقبتين ، بسرعة توحى بأنهما انطلقتا دون هدف محدود ، إلا أن الرصاصة الثانية أثبتت عكس هذا تمامًا ، عندما استرشدت بما كشفته الرصاصة الأولى ، واخترقت المنظار الخاص بالرؤية الليلية ، الذى يغطى وجه مقاتل (النينجا) ، وغاصت بين عينى هذا الأخير ، الذى انطلقت منه شهقة قوية ، تجمع ما بين الألم والذهول ، قبل أن تنتزعه الرصاصة من مكانه ، وتلقى به مترين إلى الخلف ، ليسقط جثة هامدة ..

ونهض (أدهم) ، وهو يلهث فى شدة :

كانت الدماء تغرق صدره ، والآلام تنتشر فى جسده كله ، والتعب والإجهاد بلغا منه مبلغهما ..

والموقف ما زال عصيبًا ، والظلام الدامس يحيط به من كل جانب ..

وفى توتر ، تحسّس (أدهم) طريقه إلى (جيهان) ، وراح يفحصها والقلق يكاد يعصف بنفسه ..

لقد ساءت حالتها أكثر وأكثر ..

ولو استمرّ هذا الأمر لنصف ساعة أخرى ، ستلقى حتفها حتمًا ..

تركها فى موضعها ، وعاد يتحسّس طريقه ، بحثًا عن مدخل المرأب ، وبينما يتجه نحوه ، ارتفع فجأة صوت أحد مقاتلى (النينجا) ، عبر جهاز اللاسلكى ، الخاص بذلك الذى صرعه (أدهم) منذ قليل ، وهو يقول باليابانية :

ـ هل التقيت بذلك الرجل فى أسفل ؟

وصمت قليلاً ، فى انتظار الجواب ، ثم لم يلبث أن قال فى قلق واضح :

ـ هل تسمعنى ؟!.. إننا فى طريقنا إليك .. أجب ..

ومضت لحظة صمت أخرى ، قبل أن يهتف فى غضب :

ـ اللعنة !

كان من الواضح أنهم أدركوا ما حدث ، وسيهرعون إلى أسفل بأقصى سرعتهم ..

وهذا يعنى أن التراجع لم يعد ممكنًا ..

وأن عليه أن يمضى قدمًا ..

لو أراد النجاة ..

وتحرّك (أدهم) فى سرعة أكثر ، والدماء تسيل فى غزارة على صدره ، وقلبه يخفق فى عنف ، مع الإجهاد العنيف ، الذى يشعر به ، والدوار الذى راح يتسلّل إلى رأسه رويدًا رويدًا ..

وأخيرًا بلغ مدخل المرأب ..

وانتفض جسده كله فى عنف ..

لقد اتخذ هؤلاء الأوغاد كل احتياطاتهم بحق ، وأغلقوا الباب المعدنى الإليكترونى للمكان ، والذى لا يمكن فتحه إلا بوساطة رقم كودى خاص ، لا يمكن حتى تحقيقه ، مع انقطاع التيار الكهربى التام ..

وفى نفس اللحظة ، التى كشف فيها (أدهم) هذا ، التقطت أذناه وقع أقدام مقاتلى (النينجا) الثلاثة ، الذين يهبطون فى درجات السلم ، فى طريقهم إليه ..

وكان هذا يعنى أنه صار محاصرًا ، بين شقى الرحى ،

وأنه ، بحالته هذه ، ومع فارق التفوق العددى والكيفى ، ليس لديه أمل فى النجاة هذه المرة ..
ولا أدنى أمل ..

★ ★ ★

راح (ناتاسون) يحوم بالهليوكوبتر حول البناية ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، كل دقيقة وأخرى ، متمتمًا فى حنق :
ـ لماذا تأخر الرجال هذه المرة ؟!.. إنهم لم يستغرقوا أكثر من تسع دقائق ، لإنهاء عملية السفارة كلها ..
تردد صوت (فاكو يوشيدا) ، عبر جهاز الاتصال المحدود ، وهو يقول للمرة العاشرة ، خلال الدقائق الثلاث الأخيرة :
ـ أجب يا (ناتاسون) .. إنك تخالف شروط التعاقد بتجاهلك التام هذا .. لقد اتخذنا كل ما يلزم ، لتبرئة أنفسنا مما فعلته .. لا تجبرنا على التخلى عنك أيضًا .
تفجرت ثورة (ناتاسون) ، عند هذا الحد ، فضغط زر الاتصال ، هاتفًا :
ـ ومن أخبركم أن (ناتاسون) يحتاج إلى من يسانده ؟
هتف (يوشيدا) :

ـ أخيرًا .. أخيرًا استجبت للنداء يا رجل .. هيا .. ألغ العملية ، واتجه إلى المصنع القديم .. لا تعد إلى الشركة بالهليوكوبتر .. هل تسمع ؟.. لا تعد إلى الشركة ، مهما كانت الأسباب .
التقى حاجبا (ناتاسون) ، وهو يقول :
ـ لماذا ؟!! ما السبب فى عدم عودتنا إلى الشركة ؟!
التقط المحامى خيط الحديث ، وقال :
ـ ما فعلته أحدث متغيرات عديدة ، اضطرتنا لاتخاذ بعض الإجراءات الوقائية ، سنشرحها لك فيما بعد .. المهم ألا تعود إلى الشركة بالهليوكوبتر .
قال (ناتاسون) فى عصبية :
ـ هذا الأمر لا يروق لى
أجابه المحامى فى حدة :
ـ قلت لك : سنشرح لك كل شيء فيما بعد .. لا يمكننا البوح بما لدينا عبر موجات اللاسلكى ، حتى ولو كانت دائرة الحديث مغلقة .. أنت تفهم هذا جيدًا .
ازداد انعقاد حاجبى (ناتاسون) ، وعربد شيطان الشك فى أعماقه ، وتساءل عن سر هذه التعقيدات المفاجئة ، و ...

وفجأة ، وقع بصره على قافلة من سيارات الشرطة ، بأضوائها وأبواقها المتميزة ، تتجه نحو المبنى ، فهتف :

ـ اللعنة !.. ألم تقولوا : إن رئيس الشرطة يعمل لحسابكم ؟!

هتف به المحامى :

ـ يا للشيطان !.. لا تتحدث عن مثل هذه الأمور عبر اللاسلكى يا رجل .

صاح (ناتاسون) فى غضب :

ـ أغلق جهاز اللاسلكى عندك ، قبل أن يتلقى منى ما لن يروق لأذنيك .. هيا .

ثم استطرد موجهًا حديثه إلى من تبقى من مقاتليه :

ـ زمن العملية انتهى .. الانسحاب فورًا .. تنفيذ الخطة (ا) ..

وأنهى الاتصال ، وحاجباه ينعقدان أكثر وأكثر ..

لقد كانت المواجهة الأولى عنيفة ..

وفاشلة ..

ولكنها توضح بطريقة عملية قدرات الخصم ..

ونقاط الضعف ..

لابد من إدخال تعديلات جوهرية على الزى القتالى ..

منظار الرؤية الليلية يحتاج إلى غلاف من الزجاج المضاد للرصاصات ، وإلى دائرة أليكترونية خاصة ، تفصل دوائر الإضاءة تحت الحمراء ، فور تعرّض المنظار لإضاءة طبيعية ..

بهذا تصبح فرقته منيعة تمامًا ..

ومع قدرات ومهارات (النينجا) ، ستكون لديه أقوى فرقة قتالية عرفها التاريخ ..

فرقة يمكنها مواجهة جيش بأكمله ..

وفى المواجهة القادمة ، سيكون أكثر حرصًا على تحقيق النصر ..

ولن يترك ثغرة ، يمكن أن ينفذ منها (أدهم صبرى) .

ثغرة واحدة ..

★ ★ ★

كان (أدهم) يدرك تمامًا أنها النهاية ..

لن يمكنه أبدًا مواجهة ثلاثة من مقاتلى (النينجا) ، من هذا الطراز ، بحالته هذه ..

إنه عاجز حتى عن الوقوف على قدميه ..

فما بالك بالقتال ؟!

وبكل ما تبقى له من قوة ، جرّ قدميه جرًا إلى حيث ترقد (جيهان) ، التى أصبحت أنفاسها لاهثة سريعة ،

وجلس إلى جوارها ، وأسند ظهره إلى الجدار ، وأخرج مسدسه ، واستبدل بخزانته الفارغة ، أخرى جديدة ، وهو يتمتم :

ـ معذرة يا زميلتي العزيزة .. من الواضح أنني لم أنجح في حمايتك هذه المرة .

كان وقع أقدام مقاتلي (النينجا) الثلاث يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وأيقن (أدهم) أنها النهاية ..

وجذب مشط مسدسه ..

واستعد للموت بشرف ، و ...

وفجأة ، توقف وقع الأقدام ، والتقطت مسامع (أدهم) رسالة لاسلكية ، لم يمكنه تمييز كلماتها في وضوح ، من هذه المسافة ..

ثم تعالى وقع الأقدام مرة أخرى ..

ولكن في الاتجاه العكسي ..

كان من الواضح أن مقاتلي (النينجا) قد تلقوا أمرًا بالانسحاب ..

وأنهم اعتادوا تنفيذ الأوامر دون مناقشة ..

مهما كانت الظروف والملابسات ..

وهذا من حسن حظه ..

وانطلقت من أعمق أعماق نفسه زفرة ارتياح ، وهو يسند رأسه إلى الجدار ، متمتمًا :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

ففي اللحظة التي تلقوا فيها أمر الانسحاب ، كانوا على مسافة طابق واحد منه ..

ولولا طاعتهم العمياء هذه ، لواصلوا طريقهم إليه ، وقتلوه ، ثم نفذوا أمر الانسحاب ..

حمدًا لله ..

تناهى إلى مسامعه دوي أبواق سيارات الشرطة ، فأسبل جفنيه ، متمتمًا :

ـ آه .. هذا هو السبب إذن .

كان يفقد المزيد والمزيد من الدماء ، في كل لحظة تمضي ، وضعفه يتزايد ..

ويتزايد ..

ويتزايد ..

ثم فجأة ، سطعت كل الأضواء ..

وتعالى وقع أقدام جديدة ، في كل مكان ..

وأغلق (أدهم) عينيه بضع لحظات ، مع الضوء المباغت المبهر ، وسمع وقع الأقدام يتجه نحوه ..

ثلاثة .. بل أربعة رجال أحاطوا به ..
وأحدهم هتف فى دهشة متوترة :
ـ رباه !.. إنه هو .. إنه الرجل الذى وزعوا علينا صورته .
وعندما فتح (أدهم) عينيه ، كان أمامه أربعة من رجال الشرطة ، يصوبون إليه فوهات مسدساتهم القوية .
وأصابعهم متحفزة لإطلاق النار ..
على رأسه مباشرة ..

* * *

« (ناتاسون) فقد ستة من رجاله .. »
نطق (أوهارا) العبارة فى أسف وتوتر واضحين ، وهو يعض شفته السفلى ، على نحو امتقع له وجه (يوشيدا) ، الذى تشبث بحافة مكتبه فى قوة ، وسأل بصوت يموج بالغضب والمرارة :
ـ وهل ظفروا بالرجل ؟!
هز (أوهارا) رأسه نفيًا ، دون أن ينطق حرفًا واحدًا ، فهتف (يوشيدا) فى حنق :
ـ اللعنة !
قال المحامى فى سرعة :

ـ ولكن هذا كان متوقعًا هذه المرة يا (يوشيدا) سان .. (ناتاسون) يقول : إنه فهم طبيعة خصمه بهذه المواجهة ، ويمكنه ضمان النصر فى المواجهة القادمة ، ولكن ..
قاطعه (يوشيدا) فى حدة :
ـ ولكن ؟!.. أما زال هناك (لكن) ؟!
لوّح المحامى بيده ، مجيبًا :
ـ (أدهم صبرى) كشف نقطة ضعف رجال (ناتاسون) يا (يوشيدا) سان ، وهذا الأخير وضع بعض التعديلات ؛ لإلغاء نقاط الضعف ، والقضاء عليها تمامًا .
هتف (يوشيدا) فى غضب :
ـ تعديلات جديدة ، وتمويل جديد ، ومزيد من الدولارات المهدرة دون طائل !!.. ألن ينتهى هذا الأمر أبدًا ؟
بدا الضيق على وجه المحامى ، وهو يقول :
ـ يمكننا أن ننهى أمر (ناتاسون) ورجاله على الفور يا (يوشيدا) سان .. وبأبسط الطرق الممكنة .. يكفى أن نعلنهم بانتهاء التعاقد ، ونطالبهم بالعودة فورًا إلى معبدهم .
ثم استطرد فى صرامة :

ـ وسيكون علينا ، فى هذه الحالة ، أن نواجه (أدهم صبرى) هذا وحدنا .

التقى حاجبا (يوشيدا) فى غضب هادر ، وهم بإطلاق كل هذا الغضب فى وجه المحامى ، لولا أن ارتفع صوت مدير مكتبه ، عبر جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يقول فى شىء من الاضطراب :

ـ معذرة يا (يوشيدا) سان .. كلنا نعرف أوامرك الخاصة بعدم الإزعاج ، ولكن السيِّد وزير الداخلية هنا ، ويرغب فى مقابلتك على الفور .

بُهت المحامى لما سمعه ، فى حين هتف (يوشيدا) بدهشة :

ـ وزير الداخلية بنفسه ؟

غمغم مدير مكتبه :

ـ بنفسه يا (يوشيدا) سان .

أدار (يوشيدا) عينيه إلى محاميه ، الذى تمتم متوترًا :

ـ لم أتوقع أبدًا أن يتطوّر الأمر إلى هذا الحد .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ ولكننا نمتلك الآن ما ندافع به عن أنفسنا .

أومأ (يوشيدا) برأسه فى توتر شديد ، وهو يغمغم :

ـ أنت على حق .

ثم ضغط زر جهاز الاتصال الداخلى ، قائلاً لمدير مكتبه .

ـ ما الذى تنتظره يا رجل ؟!.. أدخل السيِّد وزير الداخلية على الفور .

ونهض من خلف مكتبه ؛ ليستقبل الوزير ، الذى دلف إلى الحجرة فى وقار ، وتصافح الرجلان فى قوة ، و (يوشيدا) يقول :

ـ يالها من مفاجأة سارة !.. وزير الداخلية المحترم بنفسه فى مكتبى !! يا للفخر !

أجابه وزير الداخلية :

ـ معذرة يا (يوشيدا) سان ، ولكن زيارتى الأولى لك لا تستند إلى أسباب ودية للأسف .

رفع (يوشيدا) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟!

أومأ الوزير برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم صارم :

ـ حقًا يا (يوشيدا) سان .

ثم التفت إلى (أوهارا) متسائلاً ، فلوّح (يوشيدا) بيده ، قائلاً :

- يمكنك أن تتحدث أمامه بمنتهى الحرية .. إنه محامىّ الخاص .

أومأ الوزير برأسه مرة أخرى متفهمًا ، وهو يقول :

- عظيم .. هذا أفضل بالتأكيد .

ثم شدّ قامته فى اعتداد ، مستطردًا فى حزم :

- (يوشيدا) سان .. لدىّ أكثر من مائة شاهد ، يؤكدون أن هليوكوبتر شركتك شاركت فى قصف بناية سكنية ، فى ..

قاطعه المحامى فى لهفة مدروسة :

- الهليوكوبتر ؟!.. هل عثرتم عليها ؟!

انعقد حاجبا الوزير ، وهو يتمتم :

- عثرنا عليها ؟!

لاذ (يوشيدا) بالصمت تمامًا ، فى حين هتف المحامى :

- بالطبع .. لقد تعرّضنا لاعتداء إرهابى ، تمت خلاله سرقة طائرتنا الهليوكوبتر ، ولقد أبلغنا رئيس الشرطة بنفسه عن هذا .

ازداد انعقاد حاجبى الوزير ، وهو يقول :

- آه .. رئيس الشرطة .. أتقصد (فوجى ياما) ؟

أجابه (أوهارا) :

- بالطبع .. وأرسلنا إليه نسخة من الشريط الذى سجلته آلات المراقبة للحادث .

سأله الوزير فى بطء :

- هل تم تسجيل الحادث أيضًا ؟

أجابه المحامى ، وهو يلتقط شريطًا من مكتب (يوشيدا) :

- بالطبع .. الآلات تسجل كل ما يحدث هنا طوال الوقت .

ودفع الشريط فى آلة العرض ، وضغط زر الاستعادة .

وران على حجرة المكتب الواسعة صمت تام ، والوزير يتابع معهما شريطًا مسجلًا ، لحادث سرقة الهليوكوبتر ..

كان شريطًا ملفقًا ، صنعه بمهارة مدهشة أكبر خبراء الإليكترونيات ، فى مؤسسة (يوشيدا) ، واستعان فيه بعشرات اللقطات القديمة ، ومزج بعضها ببعض ؛ ليصنع حادثًا متقنًا ، لا يرقى إليه الشك ..

ولم يعلّق الوزير على الشريط بحرف واحد ..

كان واثقًا فى أعماقه من أنه شريط زائف ..

ولكنه لم يعترض ..

ولم يعلّق ..

فقط شاهده حتى نهايته ، قبل أن يرسم على شفتيه ابتسامة متصنّعة ، ويقول :

- هذا يفسّر الكثير .

سأله (يوشيدا) :

- قل لى يا سيادة الوزير : هل أساء أحدهم استخدام طائرتنا الهليوكوبتر ؟

ابتسم الوزير ، مجيبًا :

- بالتأكيد .

سأله (أوهارا) فى اهتمام مدروس :

- وما الذى فعلوه بها بالضبط ؟!

التفت إليه الوزير ، وتطلّع إليه بضع لحظات فى صمت ، بنظرة متفحّصة ، وكأنه يريد كشف ما يخفيه فى أعماقه ، قبل أن يرسم على شفتيه ابتسامة هادئة ، ويقول :

- لا تشغل نفسك بمثل هذه الأمور .. لقد حسمنا كل شىء .

ثم عاد إلى (يوشيدا) ، ومدّ يده يصافحه ، قائلاً :

- تقبّل أسفى يا (يوشيدا) سان .. كان يجب أن أتحرّى الأمر بنفسى ، فأنا أقود الأمر شخصيًا هذه المرة .

ارتفع حاجبا (يوشيدا) بدهشة حقيقية ، وهو يهتف :

- شخصيًا ؟!

هزّ وزير الداخلية كتفيه ، قائلاً :

- الأمر دقيق هذه المرة ، ويهدّد الأمن العام للمدينة ، والعلاقات الدبلوماسية بين الدول .

تمتم (يوشيدا) ، وهو يشدّ على يده :

- بالتأكيد .

كان الوزير يتفرّس فى ملامحه فى اهتمام شديد ، محاولاً أن يستشفّ شيئًا مما يدور فى أعماقه ، إلا أن (يوشيدا) وضع على وجهه قناع الثلج البارد ، واستعاد جمود ملامحه لثوانٍ ، أقنعت الوزير بعدم جدوى ما يفعل ، فابتسم ، قائلاً :

- إلى اللقاء يا (يوشيدا) سان .. تقبّل أسفى ثانية .

واستدار متجهًا إلى باب الحجرة ، ولم يكد يبلغه ، حتى استدار إلى (يوشيدا) ثانية ، وقال :

- بالمناسبة يا (يوشيدا) سان .. أصحيح أنك صديق لرئيس الشرطة السابق (فوجى ياما) ؟!

انعقد حاجبا المحامى فى شدة ، فى حين قال (يوشيدا) فى دهشة :

- السابق ؟!

ارتسمت ابتسامة متشفية على شفتى الوزير ، وهو يقول :

- بالطبع .. لقد أعفيته من منصبه منذ قليل ، واتخذت قرارًا بإجراء تحقيق واسع معه ، بشأن بعض المخالفات ، ويبدو أن هذا قد أفزعه للغاية ، فلقد ...

صمت عند هذه النقطة ، وأدار عينيه فى وجهى الرجلين ، قبل أن يضيف فى حزم وبلهجة تحمل مزيجًا من التشفى والسخرية :

- انتحر .

اتسعت عينا (يوشيدا) فى شىء من الارتياع ، وانعقد حاجبا (أوهارا) فى شدة وتوتر ، وعاد الوزير ينقل بصره بينهما ، قبل أن يقول :

- كنت أعلم أن هذا الخبر يهمكما جدًا .

قالها ، وغادر المكتب ، وأغلق بابه خلفه فى هدوء .

ولثوان ، ران على الحجرة صمت رهيب ، قطعه (يوشيدا) ، وهو يقول :

- (أوهارا) .

انتفض المحامى ، قائلاً :

- أمرك يا (يوشيدا) سان .

أجابه فى صرامة :

- أبلغ (ناناسون) أننى موافق على كل طلباته .. المهم أن يضع حدًا لهذا الأمر .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- وبأسرع وقت ممكن .

وبدأ قراره هذا جولة جديدة من القتال .. ومواجهة جديدة مع المقاتلين .. مقاتلى (النينجا) .

* * *



١١ - المواجهة القادمة ..

ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتى طبيب المستشفى فى (طوكيو) ، وهو يتطلّع إلى (أدهم) ، قائلاً :

- اطمئن يا رجل .. زميلتك ستشفى على الأرجح .. لقد وصلت إلينا فى حالة متأخّرة ، ولكن من حسن الحظ أن لدينا هنا مركزًا متخصّصًا فى السموم ، أمكنه تشخيص حالتها ، وتحديد نوع السم بسرعة ، قبل حتى نتائج التحاليل المتطوّرة ، مما ساعدنا على منحها الترياق المناسب ، قبل فوات الأوان .

أغلق (أدهم) عينيه ، مغمغمًا فى ارتياح :

- حمدًا لله .

كان يرقد على منضدة طبية صغيرة ، فى حجرة الطوارئ ، والممرضة منهمكة فى تضميد جرح صدره ، بعد أن خاطه الأطباء المتخصصون ، ولكنه سأل الطبيب فى اهتمام :

- ومتى تستعيد وعيها ؟!

أجابه الطبيب بهزّة كتف ، قبل أن يقول :

- ربما غدًا مساءً ، أو فى صباح بعد غد .. المهم أن تظلّ حالتها مستقرة ، خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة ؛ فهذا وحده يثبت شفاءها .

ثم ألقى نظرة على سترة (أدهم) وقميصه ، اللذين أغرقتهما الدماء ، واستطرد فى اهتمام :

- وأعتقد أنه من الأفضل أن تقضى أنت أيضًا ليلتك هنا ؛ فلقد فقدت الكثير من الدماء ، وستحتاج حتمًا إلى رعاية طبية .

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وهو ينهض جالسًا ، ويقول :

- مستحيل أيها الطبيب .. عملى لا يحتمل إضاعة ساعة واحدة .

ارتفع حاجبا الطبيب فى دهشة ، وهو يقول :

- ولكنك تحتاج حتمًا إلى لتر من الدم ، و ...

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

- قلت : مستحيل !..

وارتفع صوت آخر ، يقول :

- لا تحاول يا سيّدى الطبيب .. لن يطيع أوامرك قط .

انعقد حاجبا الطبيب فى ضيق ، فى حين التفت (أدهم) إلى القادم الجديد ، وقال بالعربية :

- (وصفى) .. لماذا تأخرت ؟

ناوله مندوب المخابرات حلة جديدة ، وهو يجيب :

- الأمر لم يكن سهلاً .. لقد اشتعل رجال الشرطة غيظًا ، عندما علموا أنك تحمل جواز سفر دبلوماسيًا ، وأنه ليس باستطاعتهم استجوابك ، دون اتخاذ الإجراءات القانونية ، وهم يسعون الآن للحصول على موافقة وزارة الخارجية ، لطلب شهادتك .

التقط (أدهم) الحلة الجديدة ، وراح يستبدلها بحلته الملوثة بالدماء ، وهو يقول :

- من حسن الحظ أن القانون هنا يمنعهم من إطلاق النار ، إلا للضرورة القصوى ، وهذا ما جعلهم يكتفون بإلقاء القبض علىّ ، على الرغم من أننى كنت أحمل مسدسًا ، فى الطابق السفلى للمبنى .

وافقه (وصفى) بإيماءة من رأسه ، مغمغمًا :

- الواقع أنك نجوت بأعجوبة هذه المرة يا سيادة العميد .

صمت (أدهم) لحظة ، قبل أن يقول :

- أنت على حق .

ولاذ بالصمت التام ، وهو يعقد رباط عنقه ، ويصفف شعره ، ثم التفت إلى (وصفى) ، قائلاً :

- أريد أحد رجالنا هنا ، لحراسة (جيهان) ، حتى تستعيد وعيها ، كما أريد كل ما لديكم من معلومات ، حول مقاتلى (النينجا) هنا ، ومراكز تدريبهم ورعايتهم .

أومأ (وصفى) برأسه إيجابًا ، وقال :

- (سمير) فى طريقه إلى هنا بالفعل ، وسيبقى إلى جوارها طوال الوقت .. أما بالنسبة للمعلومات ، فقد حملت لك بالفعل الكثير مما يهمك .

كان (أدهم) يشعر بدوار حقيقى ، إلا أنه لم يكن يرغب فى إضاعة لحظة واحدة ، دون الاستفادة بتجربته الرهيبة فى هذه الليلة ، لذا فقد أجابه فى حزم وصرامة :

- عظيم .. سننتظر وصول (سمير) ، ونتجه فورًا إلى المنزل الآمن الجديد ، لنراجع كل المعلومات .

سأله (وصفى) فى دهشة :

مضت دقائق سبع ، قبل أن يصل (سمير) ، ظل الطبيب يحاور (أدهم) فى كل ثانية منها ؛ لإقناعه

بقضاء ليلتـه فى المستشفى تحت الملاحظة ، وأخيرًا أصبح (أدهم) و (وصفى) داخل سيارة هذا الأخير ، الذى انطلق بها نحو المنزل الآمن ، وهو يناول (أدهم) ملفًا كبيرًا ، قائلاً :

ـ الشبهات تتجه كلها نحو مقاتلى (ناتاسون) ، وهو خبير قتال قديم ، يقود الآن فريقًا من (النينجا) ، تولى تدريبهم بنفسه ، منذ نعومة أظفارهم ، وصنع منهم آلات للقتل والاغتيال والتدمير ، ولكن لا أحد يدرى أين وكرهم ، ولا كيف يمكن الاتصال بهم .

غمغم (أدهم) ، وهو يراجع تفاصيل هذه المعلومات فى الملف :

ـ هناك حتمًا وسيلة لهذا ، وإلا فكيف استعان بهم الوغد (يوشيدا) ..

وافقه (وصفى) بإيماءة من رأسه ، ثم لاذ بالصمت تمامًا ؛ ليمنحه فرصة مراجعة الملف بنفسه ..

وعلى الرغم من الدوار الذى يكتنفه ، وجفنيه المتثاقلتين ، من شدة رغبته وحاجته للنوم ، والضعف الذى يسرى فى جسده ، مع كل الجهد الذى بذله ،

والدماء التى فقدها ، راح (أدهم) يلتهم المعلومات فى لهفة واهتمام حقيقيين ..

ومع كل صفحة يقلبها ، كان القلق فى أعماقه يتضاعف ..

ويتضاعف ..

ويتضاعف ..

لقد تأكد من أنه يواجه هذه المرة فرقة من أقوى المقاتلين فى العالم ..

فرقة تم تدريبها فى عناية ، لسنوات طوال ، وتزويدها بأحدث وأقوى وسائل المقاومة والقتال ..

وتحت قيادة خبير قديم ..

ولقد اختبر هذا بنفسه ..

وأدرك أن القوة وحدها لن تكفى ، أمام فرقة كهذه ..

وهذا ما ينبغى أن يدركه ويعيه جيدًا ، فى المواجهة القادمة ..

ومن الخطأ كل الخطأ ، أن ينتظر هجومهم القادم ..

وفى صمت ، أغلق الملف ، وأسند رأسه إلى المقعد ، وأسبل جفنيه ، على نحو أوحى لرفيقه أنه غرق فى نوم عميق ..

ولكن عقله كان يعمل بأقصى طاقته وقوته ؛ لإعادة دراسة الموقف ، وتقدير ما ينبغى فعله فى المواجهة القادمة ..

المواجهة التى ينبغى أن تطرح القوة جانبًا ، وتستعين بكل مهاراته ، وخبراته ، وذكائه ..

فمن المؤكد أنها ستكون مواجهة عنيفة حاسمة ..

مواجهة بين رجل واحد ، وأقوى فريق مقاتل فى العالم أجمع ..

ويالها من مواجهة !



انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث والأخير

(الفريق الأسود)

رقم الإيداع : ٣٦١٩

المطبعة العربية الحديثة

٨ و ١٠ شارع ٤٢ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة ـ ☎ ٩٤٢٣٩٦/٤ ـ ٢٨٣٥٥٥٤

معبد الجريمة

• كيف يواجه (أدهم صبرى) (يوشيدا) ورجاله فى قلب (طوكيو) ؟! ..

• لماذا جاء مقاتلو (النينجا) إلى (طوكيو) .. وما هدفهم بالضبط ؟! ..

• ترى هل ينجح (أدهم) فى الثأر لقائده السابق .. أم ينتصر مقاتلو (معبد الجريمة) ؟!

• اقرأ التفاصيل المثيرة .. وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) .



العدد القادم : الفريق الأسود



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

111

الثمن فى مصر ٢٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم